فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الصلاة بعد صلاة الجمعة ﴾

(س ٣٣) من صاحب التوقيع بالسودان

سيدي الفاضل صاحب المنار الاغر، نفعنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فلما كانت مجلتكم الغراء هي المجلة الوحيدة الدينية الاسلامية التي اخذت على عاتقها خدمة الدين والامة واتباع منهج الحق والتي انتشر ذكرها في مشارق الارض ومغاربها حتى حازت ثقة الخاص والعام حماها الله وحفظكم لخدمة الملة والدين آمين - جئنا بالآتي :

نحن ياسيدي في بلدة حديثة العهد بالعمران يسكنها من المسلمين مايبلغ ثلاثة آلاف نفس مابين سوداني ومصري وجداوي و يماني وبعض من الهنود والمغاربة وليس فيها مرشد ديني الا قاضيها الشرعي السابق الذي أرشدنا المنار صاحبه وعرفنا كيف نقصده عند الشدائد والذي بسعيه وجده وبما جمعه من المسلمين أسس زاوية من الخشب كأغلب ابنية البلدة وهي المسجد الوحيد الذي تقام فيه الجمعة والجماعة وما زال حفظه الله يجد ويجتهد بإلقاء دروس الفقه والتوحيد على العامة حتى نور الله بصائرهم نوعا حتى رزئنا بنقله الى محكمة مركز سواكن عقب نقل المديرية منها الى [illegible] دان (بلدتنا) وجاء قاضي محكمة المديرية فأملنا خيرا خصوصا وانه اكبر

سنا ومرتبة من سابقه، ولما أقبلت أول جمعة بعد وصوله وحضر المصلون وازف وقت الخطبة والصلاة وصرنا في انتظار الامام ولم يتقدم أحد دعي فضيلة القاضي للخطابة فادعى انه لم يعل المنابر في عمره ولم يتعود الخطابة فخير فيمن يندبه فندب امام الاورطة العسكرة هنا ليخطب و يصلي بالمسلمين بالنيابة عن فضيلته فأجاب المذكور وصلى وانه وان كان في لسانه عقدة وفي إلقائه بعض تعقيد غير انا حمدنا الله تعالى الذي لم يحرمنا ممن يقوم بالامامة والخطبة

صلى الامام الجمعة وعقبها بار بع ركعات الظهر أو نفل (لا أدري) فظن بعض المالكية ان صلاة الامام الظهر بعد الجمعة تبطل صلاة المالكية والمسجد واحد لا تقام الجمعة في غيره فسئل الامام عن ذلك فما كان جوابه الا ان انفعل وحسبل وكبر عليه ان يسأله احد من العوام و يخطئه في صلاته (وما كان الا مستفهما) وتخلص بقوله: أنا ما يخدشني أجرة ومذهبي حنفي ومايش دعوه بمالك لأني ما حضرتوشي في الازهر واللي يصلي و رايه يصلي والا ما يصليشي عنه ما صلى !! وأرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى)

لم يكتف حضرة الامام بما أبداه من الاستياء من سؤال العامي الذي أراد ان يذكر فتنفعه الذكرى بل اعاد الكرة في الجمعة التالية وأظهر عظيم استيائه وجعل خطبته طعنا وذما وشتما لمن يتجرأ على العلماء و يسألهم ويخطئهم حيث قال بعد الحمدلة والاستغفار والتشهد ما نصه :

« عباد الله : قال الله تعالى «ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » الى عظيم .وقال تعالى «ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها » عباد الله: النبي أوذي من قبلي من المنافقين ولي في رسول الله اسوة حسنة ! عباد الله : وسوس شيطان من شياطين الانس لبعض المصلين وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان يخطئني في صلاتي أو ان صلاتي باطلة حيث صليت اربع ركعات نفلا وقالوا اني صليت الظهر واقسم بالله العظيم اني ماصليت الظهر ولا تنفلت وان صلاتكم صحيحة وصلاة الذين صلوا الظهر باطلة ولم أدر كيف يتجارأ هؤلاء الشياطين على تخطئة علماء الله هم وكلاء الله في ارضه ! ! .

عباد الله: قال الله تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون * ولئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا» ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا» عباد الله : اني خطيب وما اغتصبت الوظيفة من صاحبها وما خطبت الا بعد الاذن منه فاختاروا الخطيب الذي يعجبكم . هذا وان لم ينته المنافقون فسوف يخرجهم الله من هذه البلدة مدحورين خاسرين الدنيا والآخرة كما اخرج الذين من قبلهم ؛ عباد الله: ان شعبان قد مضى هل فيكم من قدم فيه شيئا ينفعه هل فيكم من عمل صالحا »

هذا هو ملخص الخطبة وآياتها وألفاظها والتي لم تخرج عن السب للذي سأله ومن وافق عليه من (الشياطين) وياليته ماسأل

انتهت الصلاة وقام المصلون وانصرفوا فنهم من قال بفساد الخطبة وعدم جواز الصلاة خلف هذا الامام وآخرون قالوا بفساد الخطبة فقط ولازال الهرج والمرج بين الناس مع اختلاف جنسيتهم وفيهم من عاهد نفسه بعدم الصلاة خلف هذا الامام

فأغيثونا وأفيدونا عن الصواب عن كل ما يتبع وعن صلاح الخطبة وفسادها وصلاة الظهر للامام بعد الجمعة أو التنفل هل يفسدان صلاة المالكية مع نشر هذا السؤال برمته حتى لايقال تجاوزوا الحق أو كتبوا غير الحقيقة والمسلمون يطلبون هذه الخدمة الدينية لله وللنفع العام ولكم منا الشكر ومن الله الاجر

ولما كان خير البر عاجله فنرجوكم نشره بأول عدد وأن تفسحوا له صدركم الرحيب وصدور مجلتكم الغراء ودمت ياسيدي

ورحم الله الاستاذ الامام حيث يقول ان طول الاقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به لان من فكر حضرة الامام ان علم الجغرافيا وما فيه من تقلب الفصول والبروج والعلوم الحديثة الاخرى هو من الكفر الذي جلبه الشيخ محمد عبده .

الفقير محمد بهجت
بالكارك السودانية

(ج) ليس فيما ذكرتم من الخطبة مايقتضي عدم صحتها أو عدم صحة صلاة

الجمعة المرتبطة بها . وصلاة الامام بعد الجمعة أربعا أو أكثر أو أقل لا يبطل صلاة الجمعة على نفسه ولا على المصلين من المالكية ولا غيرهم وما علمنا ان احداً من علماء المسلمين قال ان عملا من الاعمال يصدر من رجل يبطل عبادة غيره أو عبادة نفسه الا الردة أي الكفر بعد الايمان فانها تحبط العمل وتبطل ثوابه . فياأيها المسلمون لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . بذلك وصى الله من قبلكم وأعلمكم به لعلكم تتقون . نعم ان صلاة الظهر بعد الجمعة ليست مطلوبة عندكم في مذهب من المذاهب وان من لا يقول بسنية صلاة قبل الجمعة وبعدها كالمالكية ليس له ان يعترض بمذهبه على مذهب غيره ممن يقول بذلك والنظر في التعادل والترجيح بين أدلة المذاهب شيء آخر لكل أحد من المشتغلين بالعلم ان يبحث فيه بشرط ان لا يجعل سببا للتفرق بين المسلمين باختلاف الاجتهاد الذي لا مندوحة عنه . وعندي ان مذهب المالكية في هذه المسألة ارجح ولكنني لا اعترض على غيرهم لمخالفة اجتهادهم لاجتهادهم

واذا كان ما ذكرتم عن الخطيب منصوصا على غره فانني أعظه ان لا يعود الى مثله واذ كره بما يجب على الواعظ من الحلم والصبر وعدم الانتصار لنفسه ولا سيما بمثل تلك الشدة التي هي من السب والشتم وفي حديث الصحيحين « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » وفي حديثهما ايضا « المسلم من سلم المسلمون من شر يده ولسانه » وفي رواية لغيرهما « من سلم الناس » الخ وليعتبر بعاقبة تلك الحدة فانها غيرت قلوب كثير من الناس وأطلقت ألسنتهم فيه ولو عاملهم بالحلم لجم قلوبهم عليه فأفادهم واستفاد من اقبالهم عليه وتعلمهم منه كثرة الاجر وحسن الذكر كما كان شأنهم مع القاضي السابق ولا شيء يعين على الحلم واللين وحسن السياسة وعدم الدعوى والانتصار للنفس كالاخلاص وعسى ان يوجه قاضي المديرية همته الى اصلاح ذات البين والعناية بارشاد أهل هذا البلد وقراءة دروس لهم في الحلال والحرام وآداب الدين وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

***

﴿ اطلاق لفظ مولانا على الناس ﴾

(س ٣٤) من محمد علي افندي من موظفي كرك (يافا)

حضرة العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أعرض انني قد اطلعت على كتاب يدعى (صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان) فرأيته قد فسر كلمة « مولى » بما معناه: ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا (مولانا فلان) فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله ، فرأت هذا وأنا بين الشك واليقين في كلامه لاني كثيرا ما أسمع هذه الكلمة يقولها الناس لأناس غيرهم فلم أر احدا يهديني للصواب سوا كم فأتيت برسالتي هذه مستفتيا اياكم عن هذه الكلمة ودرجها مع الجواب بأول عدد يصدر من مجلتكم الغراء ، فلا زلتم الملجأ لحل المشكلات ، والوحيد في فك المعضلات ، آمين .

(ج) لقد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي نقلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا فلفظ المولى ليس مشتقا من لفظ الجلالة الذي هو من مادة « وله » بل هو مشتق من مادة الولاية أو الولاء وقد بين الله تعالى في كتابه ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض وما كل ما أطلق على الله عز وجل من الاسماء يحرم اطلاقه على غيره كما هو معلوم من اطلاق لفظ « رؤوف رحيم » على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ومن تسمية المسلمين أبناءهم بالحكم والرشيد وغير ذلك مما جاء في أسماء الله الحسنى . وقد استعمل المسلمون لفظ « المولى » من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا العهد وهو بمعنى السيد وشاع عندهم اطلاقه على المعتوق فكانوا يقولون زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ونافع مولى ابن عمر (رض) . ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء رضي الله عنها في أخيها صخر

وان صخرا لمولانا وسيدنا وان صخرا اذا نشتو لنحار

***

﴿ السماء والزرقة التي نراها فوقنا ﴾

(س ٣٥) من السيد محمد حسين نصيف (بجدة ـ الحجاز)

حضرة العلامة الفاضل ، والسيد الكامل ، من طار صيته حتى ملأ الاقطار ، بأعلا المنار ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله وأدامه

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجوكم حل هذه العقدة التي أبرمها امامنا أحد طلبة العلم مدعيا ان الزرقة التي نراها فوقنا ليست بالسماء المرادة بقوله تعالى « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » وانما تلك الزرقة هي الجو محتجا علينا بالحديث «مابين كل سماء خمسمئة عام» وان تلك المسافة لايدركها البصر عقلا ، فهل السماء التي نراها فوقنا زرقاء هي السماء الحقيقية المذكورة بالقرآن والحديث؟ أم الجو كما زعم؟ أفيدونا واورونا من بحر علمكم الزاخر زادكم الله علما وفهما والسلام

(ج) الحديث الذي أشار اليه طالب العلم لا يصح ولا يحتج به ولفظ السماء قد أطلق في القرآن على عدة معان منها السقف في قوله تعالى من سورة الحج «فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع » الآية ، ومنها السحاب في عدة آيات وذلك ان هذا اللفظ من السمو وهو العلو فكل ما علاك وكان فوقك جاز لك أن تسميه سماء هذا هو وضع اللغة التي نزل بها القرآن . فهذا الشيء الازرق الذي نراه فوقنا في النهار سماء ومجموع هذه النجوم اللامعة التي نراها فوقنا في الليل يسمى سماء وجهة العلو فوقك تسمى سماء . وبذلك ورد القرآن . وقد اختلف علماء الهيئة الفلكية في هذا اللون الازرق الذي في السماء وينسب اليه ما يشبهه من ألوان الثياب وغيرها فيقال «سماوي » وفي لون البحر وليسوا على يقين مما يقولون فيه وهو على كل حال وكل قول لون لايقوم بنفسه وانما يقوم بجسم أو جوهر وما يقوم به اللون يسمى سماء وان كانت الزرقة حادثة من الفصل بين النور والظلمة في هذه الجهة كما قال بعضهم . والقرآن لم ينزله الله تعالى لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية كالفلك والنبات والحيوان وإنما

تذ كر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها التنبيه على حكمة الله في ابداعها ونظامها وعلمه الواسع وقدرته العظيمة وان السماء التي تنظر اليها في الليل والنهار ذات زينة بديعة و بناء محكم لاتفاوت في خلقها ولا فروج ولا شقوق فيها وهي من آياته سبحانه وتعالى الدالة على الوهيته . وما اكتشفه علماء الفلك من اسرار سنتها لايزيد المؤمن بالقرآن الا ايمانا وخشوعا وليس فيه شيء ينقض كلمة منه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

* * *

﴿ دفع الزكاة للجمعيات الخيرية العمومية ﴾

(س ٣٦) من صاحب التوقيع في الاسكندرية

حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا نفعنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد هل يجوز اعطاء زكاة المال للجمعيات الخيرية كجمعية رعاية الاطفال وهي ليست خاصة بفقراء المسلمين بل تقبل كل من يأتيها من فقراء اليهود والنصارى وهل يجوز نقلها لمكتب الادارة اذا كان بعيدا عن مسافة القصر كالمسافة من الاسكندرية الى مصر ونظرا لاهمية الجواب ارجو التكرم به بخطاب خصوصي وان لم يمكن فالرأي لكم ودمتم كاتبه

محمود شرف بمصلحة عموم الفنارات

(ج) الزكاة المفروضة لها مصارف معينة وهي تؤخذ من أموال المسلمين لمصالحهم فلا يجوز صرف شيء منها لغير المسلمين كما هو مفصل في كتب الفقه ومنه يعلم ان دفعها لجمعية رعاية الاطفال لايسقط الفريضة عن الدافع بل يكون ما يدفع لها من صدقة التطوع وهي جائزة للمسلم وغير المسلم كما بينا ذلك في تفسير قوله تعالى « ليس عليك هداهم » فراجعه في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم . واذا علمت ان دفع الزكاة لتلك الجمعية غير جائز بمعنى انه يسقط الزكاة المفروضة فقد استغنيت عن جواب السؤال الثاني وهو نقلها الى مكتب الجمعية من مكان يبعد عنها مسافة القصر أو أكثر والله أعلم

* * *

﴿ العلم والاتحاد ، أيهما المقدم ؟ ﴾

(س ٣٧) من صاحب التوقيع في سنغافورة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مايقول حضرة الامام السيد محمد رشيد رضا نفع الله به آمين

في رجلين قال أحدهما : لا اتحاد بدون علم وقال الآخر بل لاعلم بدون اتحاد فمن يراه حضرة السيد المصيب ؟ وليتفضل بالجواب مبسوطا على صفحات المنار لابرحتم نافعين للأمة كاشفين عنها كل غمة آمين

السيد عبد الرحمن الكاف

(ج) مجال الكتابة في العلم والاتحاد وعلاقة كل منهما بالآخر مجال واسع يمكن أن يكتب فيه مصنف كبير ولا يحسن أن يكون ذلك في جواب سؤال مجمل كهذا السؤال، و بيان ترجيح رأي على آخر وكلاهما غيرمبين ؟ فما هو الاتحاد المنفي جنسه بدون علم وما هو هذا العلم المنكر ؟ وما هو ذلك العلم المنفي جنسه بدون ذلك الاتحاد المنكر ؟ هل المراد اتحاد طائفة من أفراد الناس على عمل ما ؟ أم اتحاد طوائف من الناس على تكوين ملك مشترك كالاتحاد الجرماني والامريكي ؟!

الاتحاد عمل يتعلق بالجماعة أو الجماعات ولا عمل الامع العلم بكيفيته والعلم مماينال الافراد بدون اتحاد مع غيرهم فهو المقدم دائما ولكل عمل علم خاص يكون مقدمة له ومنه الاتحاد فقول من قدم العلم هو الصواب

العرب والترك(*)

١

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

التغاير بين الاخوة الاشقاء ، والتنافس بين الجيران والخلطاء ، هما من الاخلاق المعهودة بين الناس ، في جميع الشعوب والاجناس ، وكثيرا ما يفضي التغاير الى التنافر ، والتنافس الى التحاسد ، فاذا اقترن ذلك بالتقاطع والتدابر ، ولم يفض كل من المتنافسين بما في نفسه الى الآخر ، اشتعلت بينهما نار العداوة والبغضاء ، وان كان الخير لكل منهما في المودة والوفاء ، وان ما يقع من الشقاق بين البشر بسوء الفهم ، اكثر مما يقع بسوء النية والقصد

تلك قوانين الاخلاق وسنن الاجتماع التي تسير عليها الافراد والاقوام ، فالعرب والترك هما الصنوان في شجرة الملة الحنيفية ، والاخوان الشقيقان في الجامعة العثمانية ، والركنان الركينان لبناء الخلافة الاسلامية ، فالرابطة بينهما جديرة بأن تبقى دائما كما وصفها كمال بك نامق زعيم النهضة الادبية في الترك بقوله : « ان كان يطمع أحد في حلها فهو الشيطان ، وان كان يقدر عليه احد فهو الله »

هذا ما كان ، وهذا مايجب ان يكون الى ماشاء الله ، ولكن وجد شيطانان لاشيطان واحد يطمعان في حل الرابطة المتينة بين العنصرين اللذين امتزجا كامتزاج الاكسجين والادروجين في تكون الماء ، أوالاكسجين والنيتروجين في تكون الهواء ، ذانك الشيطانان هما شيطان السياسة الاوربية ، وشيطان الجهل في كثير من أفراد

(*) مقال طويل كتبناه في الاستانة ونشر نبذا متفرقة مترجما بالتركية في جريدة « اقدام » الشهيرة وبالعربية في جريدة « كلمة الحق »

المنصرين ، ولكلٍّ واحد من هذين الشيطانين شر من شيطان الجن الذي ذكره كمال بك رحمه الله ، وسأبين ذلك تبيينا

ان هذا العاجز كاتب هذا المقال ربما كان من أعلم الناس بقوادم هذه المسألة وخوافيها وهزلها وجدها لانني جئت مصر منذ اثني عشرة سنة فكنت اشتغل فيها بالدعوة الى الاصلاح الاسلامي جهراً ، من حيث اشتغل بالسياسة العثمانية سراً ، وان مصر في هذا العصر ، لهي مرآة الشرق والغرب ، بما فيها من الحرية المطلقة ، والشعوب المختلفة ، والجرائد الحرة ، والاجتماعات المباحة ، فالمقيم فيها يسهل عليه ان يعرف من احوال البلاد العثمانية وسياسة الدول فيها مالا يعرفه أهل الاستانة ولاغيرهم من المقيمين في الولايات حتى في هذا العصر عصر الدستور ، فماذا نقول في عصر الاستبداد القريب: عصر الحجر على المطبوعات والختم على الافواه، والمنع من الاجتماع، والرعب من ذكر بعض الاسماء والالقاب ، والعقاب الشديد على فلتات اللسان ، وزلات الاقلام !!!

اني ماتركت مصر وجئت الاستانة في هذا الوقت لأمتع النفس باستنشاق هوائها وعذوبة مائها ومناظر بوسفورها ، وانما جئت باحثا ومختبراً أو ساعيا في الاصلاح، فأنا أعرض ماعندي من المعرفة والاختبار والرأي ، على اولي الامر وأهل الحل والعقد ، بعضه بالمشافهة والمسارَّة ، و بعضه بالكتابة في الجرائد ، فان صادف آذانا واعية، واعينا بصيرة متأملة ، فذلك ماأرجوه، وان صدق ماقيل لي بمصر من ان أولي الامر وكذا أصحاب الصحف في الاستانة لايبالون بقول أحد ولا برأيه - وما أظن ان الامر كما قيل - فحسبي انني أديت الواجب عليَّ وعملت بالنصيحة الواجبة لائمة المسلمين وعامتهم كما ثبت في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما

قضيت أكثر من اسبوع في هذه العاصمة لاأقابل أحدا من أولي الامر ولا من أصحاب الجرائد وانما كان همي فيها محصورا في اكتشاف الآراء، واستخراج مخبآت النفوس ، ومكنونات الصدور ، في الامور العامة ، ومسألة سوء التفاهم بين الترك والعرب خاصة ، فرأيتني بعد ان وقفت على كثير من المسائل والآراء ، وما

فيها من الاغراض والاهواء ، لم أزدد علما بأصل المسألة وانما أضفت الى ماعندي جزئيات جديدة من الحوادث والوقائع تؤيد الامر الكلي ولا تنقض منه شيئا

فالامر الذي يجب التصريح به بالاجمال ، قبل بيان الاسباب والنتائج بالتفصيل والذي يجب ان يعلم وان يعمل به ، هو أنه يوجد شيء من سوء التفاهم بين العنصرين تخشى عاقبته ان لم يتدارك في الحال ، وأن كبراء الدولة وقادة الافكار في العاصمة ليسوا على بينة منه وأستشهد على ذلك شهيدين قريبين : أحدهما فتنة الشام في هذا العام ، وثانيهما مانشر في جريدة « اقدام » من خبر اتحاد امراء جزيرة العرب لاجل تكوين دولة عربية !

أما الاول الذي استدل به على ان حكومة العاصمة ليست على بينة من احوال الولايات العربية فهو ان بعض الوشاة في دمشق الشام بلغوا هذه الحكومة بتقريرمن تقاريرهم التي اعتادوها في زمن الحكومة الحميدية بأن أفرادًا معينين يكونون دولة عربية وخلافة جديدة !! فبادرت الحكومة الدستورية الى التحقيق واستنطاق المتهمين بهذه الجناية جهراً ، وكانت الحكومة الحميدية تفعل ذلك في شأنهم وشأن أمثالهم سراً ، وهم أفضل علماء الشام وأخلص المخلصين من أحرارها للحكومة الدستورية ، هم الذين كانوا مضطهدين في الدور الماضي فلما جاء الدستور ظنوا ان زمن اضطهادهم قد مضى وجاء الزمن الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم ، و يعرف فيه للمخلصين اخلاصهم ، وكانوا هم السابقين ، الى مقاومة الرجعيين ، اما ببذل نصائحهم وعلومهم كالشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، و إما ببذل أموالهم ونفوذهم كعبد الرحمن بك اليوسف ، والسبب في وقوع هذا الغلط عدم الوقوف على حقيقة الاحوال ودليل ذلك ان ناظر الداخلية لم يلبث ان أصدر أمرًا حين علم بالحقيقة من مدة قريبة بترك التحقيق عن المتهمين بالباطل وجعل المسألة كأن لم تكن شيئا مذكورا ، ولكن تلك الاهانة التي اصابت اولئك المخلصين بسبب ما ذكرنا من عذر الحكومة قد تنسب الى سوء القصد ، أو تضعف الثقة بالحكومة الدستورية — لو لم تتداركها — وسنبحث في طريق معرفة الحكومة والجرائد في العاصمة لاحوال الولايات في نبذة أخرى من هذا المقال

وأما الامر الثاني وهو ما أستدل به على عدم معرفة الجرائد وقرائها هنا بأحوال

البلاد العربية فهو تصديق مانشرته جريدة « اقدام » مترجما عن جريدة « الاتحاد العثماني » من اتحاد امراء العرب وشيوخهم في الجزيرة واهتمام الناس هنا بذلك: وهذا ماحملني على زيارة هذه الجريدة ومكاشفة مديرها الفاضل بحقيقة الامر في ذلك الخبر والاتفاق معه على كتابة مقال في بيان ماعندي من الصواب في هذه المسألة وفي المسألة الكبرى التي تعد هذه فرعا من فروعها وهي مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك وما يجب من طرق تلافيه بعد معرفة أسبابه ، وقد شكرت الرصيف الكريم قبوله مني ما اكتب وترجمته ونشره في جريدته

لمسألة اتفاق امراء الجزيرة أصل عرفته من اوثق المصادر واصحها وهو ان شيخ لحج (ويلقب هناك بسلطان لحج) قد كتب كتابا الى بعض امراء العرب وشيوخهم كامام الزيدية في اليمن والشريف أمير مكة في الحجاز وغيرهما وأرسله مع رسل من قبله يحملون بعض الهدايا وهي تتضمن الدعوة الى المذاكرة في الاتفاق على حفظ جزيرة العرب من العبث باستقلالها ولو من قبل الدولة العلية، ولكن لم يجبه أحد الى دعوته ولا حصل اتفاق بين اولئك الامراء ولا اتفاق على الاتحاد ، ولا ذلك من المتيسر ولا شيخ لحج ممن يسمع له اولئك الامراء قولا ، أو يحترمون له رأيا، أو يعتقدون فيه اخلاصا، بل هم يسيئون الظن فيه لما بينه وبين انكلترا من الولاء ، وما يأخذ منها من العطاء ،

علمت بهذه المسألة من عدة اشهر ولم أنشرها في « المنار » ولا في غيره من الصحف لاعتقادي أنها لاضرر فيها وانما الضرر في نشرها ،وخوض العامة بذكرها لما سأبينه بعد :ولكن لما كان علم الدولة بها واجبا ولا سيما ان كانت بدسيسة اجنبية بادرت الى اخبار بعض من يثق بي من كبراء الدولة بها في كتاب ارسلته اليه من مصر على انه بلغني ان امير مكة المكرمة اخبر حكومة العاصمة بها ايضا

بعد ذلك سمع بعض التجار في عدن وغيرها بالخبر ولكن على غير وجهه فتناقلوه حتى وصل الى طرابلس الشام فتلقفه مكاتب جريدة « المؤيد » المصرية هناك وكبره واضاف اليه ماجرت عادة مكاتبي الجرائد بالتوسع في مثله وأرسله الى المؤيد، و بعد ان نشره المؤيد بزمن غير طويل نشرته جريدة « الاتحاد العثماني » فوصل إلى الاستانة العلية في هذه الايام وكان له من سوء التأثير ما كان. ونحمد الله

ان كانت الحكومة هنا اعرف بحقيقة هذا الامر من الجرائد اذ لولا ذلك لخشي ان تحشر الزحوف ، وتنفق الالوف ،وتسيّر الاسطول ،لدرء هذا الخطر الموهوم ،فان اتفاق اولئك الامراء لايتلافى بمثل مايتلافى به اتفاق الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وهما شيخان ضعيفان يقيمان في مركز فيلق من فيالق الدولة العلية!!

أ كتفي بهذه النبذة اليوم وسأ كشف الغطاء في النبذة الثانية عن اسباب سوء التفاهم واجعل هذا وذاك مقدمة لما أدعو اليه من الوحدة والاتفاق

٢

قلت ان العرب والترك يجب أن يكونا متحدين كالعنصرين المكونين الماء او الهواء بحيث يكون الناظرون اليهما كالناظرين الى الماء يرون شيئا واحدا لاشيئين ، والشاعرون بمقاومتهما كالشاعرين بمقاومة الهواء وهو قوة واحدة لاقوتان منفصلتان ، وقلت ان شيطاني السياسة الاجنبية والجهالة الداخلية ، يطمعان في حل رابطتهما القوية ، وتحليل وحدتهما الدينية الاجتماعية ، بمحال العصبية الجنسية ، وانا نبين ذلك بشيء من التفصيل

سياسة اوربا في الاجناس

وضعت في اوربا قاعدة من قواعد السياسة من عهد نابليون وهي وجوب استقلال كل جنس بنفسه ، فهذه القاعدة يعمل بها رجال السياسة الاستعمارية بحيث توافق مصلحتهم فقط ، ويوجد من رجال الاجتماع من يقول بوجوب اطرادها لمصلحة البشر وان كان استقلال بعض الاجناس ينافي مصلحة جنس آخر سائد عليه او متعزز به

لهذه القاعدة فروع كثيرة تتعلق بالدولة العلية لاخير لها في شيء منها لانها مؤلفة من اجناس كثيرة لا قوة للدولة الا باتحادها كلها او جلها بالاخلاص فان شذ منها جنس صغير هو فيها كالكربون في الهواء لم يكن ذلك ضارا لها ضررا يضعف كيانها فان خلوّ الهواء من الكربون لايبطل كونه هواء وإن كان لا يخلو في الغالب منه . وانني لا أبحث هنا في هذه الفروع وإنما اقول انه لا ينبغي احد من الاجناس

العثمانية في سياسة الجنسية كما يفتن الترك العثمانيون لأن من مقتضاها أن يحصر استقلالهم في بلاد الاناضول التي هم فيها أكثر عددا ولا تسمح لهم اوربا بالاتحاد باهل تركستان ولاهم يقدرون على ذلك بالقوة ، فانهام بعض العرب وغيرهم لساسة الترك بانهم يريدون استخدام قوة الدولة لتمييز جنسهم على سائر الاجناس العثمانية هو اتهام لهم بالجهل بمصلحة الدولة وبمنفعة جنسهم فوق الجهل بما يحظره عليهم دينهم من عصبية الجنسية

سياسة اوربا الجنسية في البلاد العربية

قلت ان القائلين بهذه السياسة في أوربا فريقان : رجال الاستعمار الذين يستخدمونها لمصلحتهم بقدر مصلحتهم ، ورجال الاجتماع الذين يسعون لها سعيها على الاطلاق علما يعتقدون من خير البشر . فالاولون يبثون في البلاد العربية العثمانية فكرة الاستقلال العربي مخادعة للعرب ليساعدوهم على الانفصال من جسم الدولة العلية، وماذا تريد أوربا بعد ذلك ؟ تريد أن تضع هذه البلاد العربية تحت حمايتها أو تضمها الى مستعمراتها وتقطع عليها طريق الاستقلال باسم الاستقلال !! وان لاوربا من الدسائس والوساوس في اطماع البلاد العربية العثمانية بالاستقلال مالا تسمح لنا الحالة السياسية في الاستانة الآن بشرحه وانما اشرنا اليه لنذكر اهل الحل والعقد ورجال الصحافة في هذه العاصمة بأن سوء الادارة في عصر الاستبداد كان هو المساعد لترويج تلك الدسائس ، وان حسن الادارة وحده لا يكفي في هذا العصر لقطع عرق الدسائس وخيبة مساعي اصحابها بل يجب أن يقترن بالمساواة وتأييد الوحدة العثمانية بالعمل من الحكومة وباقوال الجرائد وفي مقدمتها جرائد العاصمة فان كلمة واحدة من جريدة تركية اومن كاتب تركي تشعر بتفضيل الترك على غيرهم تحبط عمل الف واحد من العرب في الدعوة إلى الاتفاق والاتحاد

قد اشتهر امر المناظرة الطويلة التي دارت بين هذا العاجز وبين صاحب جريدة (وطن) التي تصدر في مدينة لاهور بالهند في الانقلاب العثماني الذي سميته ميمونا وسماه مناظري مشؤوما ، وقد كان مما قاله في رده الاخير علي انني لم أعترف لعبد الحميد بحسنة واحدة وقد كانت جرائد الشرق والغرب طافحة بتعداد حسناته الكثيرة ،

فأجبته في ردي الاخير عليه الذي نشرته في جزء المنار الذي صدر في آخر رمضان الماضي : اني أعترف لعبدالحميد بحسكين سكة الحديد الحجازية ، وعدم التعصب للجنسية، اذلم يكن يقال فيزمنه ترك وعرب . وأزيد الآن على ما قلته هناك انه لو كانت تلك الادارة السوءى مقرونة بالتعصب الجنسي للترك لانفصلت البلاد العربية من جسم الدولة ألبتة

هذا : وان في أوربا من اهل السياسة من يساعد على فصل بلاد العرب من جسم الدولة العلية لاجل اضعاف الدولة لا لطمع في شيء من تلك البلاد ، واني قد دعيت منذ اعوام الى الدخول في جمعية او رياسة جمعية باوربا تدعو الى استقلال البلاد العربية وقيل لي ان جمعية كذا .... وجمعية كذا .... من الجمعيات التي تريد اضعاف الترك في مقدونية وفي الاناضول وحملهم على تفريق القوة العسكرية، تساعد هذه الجمعية العربية بالمال الكثير اذا دخل فيها بعض المشهورين من المسلمين ، ولما رفضت هذه الدعوة قيل لي اسمح لنا بكتابة شيء في ذلك بقلمك او اسمح لنا أن نستخدم اسمك فلم اقبل بل كان ذلك مما قوى عزيمتي على القيام مع بعض اصدقائي العثمانيين بمصر بجمعية الشورى العثمانية التي ألفناها من جميع العناصر العثمانية المطالبة بالدستور والاصلاح

واما رجال الاجتماع من الاوربيين الذين يميلون الى تكوين دولة عربية فكثيرون ، ومنهم المخلصون الذين لايقصدون مساعدة الطامعين في البلاد العربية ولا اضعاف الشعب التركي ، وقد يستغرب كثير من القارئين لهذا المقال الجزم بوجود هذا الصنف من الناس في أوربا ، ألا فليعلم المستغربون اننا نقول هذا عن علم لاعن ظن وان الانسان ما زال مصدر الغرائب . ومما وقفت عليه من ذلك ان بعض هؤلاء المخلصين في حب العرب قد عرف الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) ووثق باقتداره فرغب اليه أن يضع له نظاما لاستقلال جزيرة العرب وتكوين دولة عربية فيها ليسعى في تنفيذ ذلك . وقال له انه يوجد مال كثير يبذل في سبيل المشروع وانه هو ينفق من صندوقه مبلغ كذا من الوف الجنيهات . فأقنعه الاستاذ الامام بأن فصل العرب من الترك يضيع الفريقين ويضر الاسلام نفسه،

فقال له ذلك الاوربي الفاضل اذا كان الامر كذلك فانا أعاهدك على ترك السعي له

إن مايظهره العلماء المستشرقون من آثار العرب في العلم والمدنية والدين ومايطبعونه في كتبهم التي كانت نسجت عليها عناكب النسيان، هو مما يقوي ميل أولئك الاجتماعيين الى مساعدة الاستقلال العربي اذا سمت العرب اليه وطالبت به، فأحب ان يعرف ذلك رجال السياسة والصحافة من الترك وان يعلموا علم اليقين انه لم يوجد الى هذا اليوم سعي الى هذه التفرقة الضارة ولا ميل من أهل البلاد العربية، وان العارفين منهم بهذه المنافذ يسعون في سدها، وان الذين أظهروا الدعوة اليها في أوربا انما هم أفراد من اصحاب المطامع الذين كانوا يبتغون المال والمناصب من عبد الحميد والتهويش على الدستور ورجاله في أول العهد باعلانه، وان عزت العابد لايقدر الآن على شيء، وان كل مايجب الآن محصور في ازالة سوء التفاهم بين العنصرين وهوماسنبينه بعد

٣

إذا جنحت الترك للاعتصام والامتزاج بالعرب بما سأذكره من الوسائل فان العرب تكون أجنح لذلك لان الترك هم العنصر الاكبر في الدولة والسياسة، والقاعدة الطبيعية في الجاذبية ان الاكبر يجذب الاصغر، ولانهم أشد استمساكا بالجنسية فيخشى ان يكونوا هم الذين يكوّنون عصبية العرب الجنسية

فان قيل ان العرب هم أكبر العنصرين بكثرة عددهم وسعة أرضهم وموارد ثروتهم فهم الذين يجب ان يجذبوا الترك اليهم، فالجواب ان هذا كان يكون صحيحا لو كان التنازع والتجاذب بين عامة العنصرين ونحمد الله انه لم يكن كذلك لان هذه العصبية اذا سرت في نفوس العامة فتنبهوا لها، وتوجهوا الى العمل بموجبها، فإنه يتعسر أو يتعذر نزعها من قلوبهم، واستخراجها من أدمغتهم، وإنما التنازع والتجاذب محصوران في طائفة من المتعلمين وهم رجال المناصب في الدولة وطلابها، والمشتغلون بالسياسة، كأصحاب الجرائد وكتابها، ومجموع الفريقين في الترك أكثر منهم في العرب وهو معنى قولنا ان الترك أكبر العنصرين في الدولة والسياسة، وإن انحصار التجاذب بين اعقل المتعلمين في الفريقين هو الذي يطمع طلاب الوفاق ومحبي الاصلاح في

ازالة سوء التفاهم الذي يغري كل فريق يبث سموم التفريق في عامة الناطقين بلغته

وأما كون الترك اشد استمساكا بعصبية الجنس من العرب فسببه ان دولتهم قامت بهذه العصبية لا بالدين الذي يجمع بين الاجناس الكثيرة و يساوي بينهم كدولة العرب أو دولهم ولا نطيل في بيان هذا لانه لا يقوي ما نرمي اليه من التأليف والتوحيد بل ربما يعارضه، وحسبهم ان دولتهم سميت باسم جنسهم (تركيا) وكان مما زادهم استمساكا بعصبيتهم الجنسية كثرة الاجناس المزاحمة لهم في عاصمة الملك وما يتصل بها من البلاد .

ثم انهم على قيامهم بعصبية الجنس لم يكرهوا الاجناس التي استولوا على بلادها على التجنس بجنسيتهم ولا على الدخول في دينهم ؛ أما الاول فلان دولتهم لم تكن دولة علم وحكمة، وانما كانت دولة بأس وقوة ، وقد مرت عليها القرون ولم تجعل للغة التركية نحوا ولا صرفا ولا معاجم ولا غير ذلك من كتب التعليم . وأما الثاني فلان الإسلام نفسه هو الذي لم يسمح لهم بذلك وقد أراده بعض سلاطينهم واستفتى فيه مفتيه « شيخ الاسلام » فلم يفته عاقبتم لانه كان مسلما ودولته اسلامية لاشبهة في ذلك .

ما كنت لألمّ بهذا الاستطراد لولا ماخشيته من الاعتراض على بعض المقدمات الذي يترتب عليه عدم التسليم بالنتيجة . واذا سلمنا ان الاستمساك بالجنسية فيهم أشد ، وانهم أقوى على جذب غيرهم اليهم وأقدر ؛ فلا مندوحة لنا عن التسليم بأن الخوف من التفرق والرجاء في الاعتصام هما منهم وفيهم أشد وأقوى أيضا . واني لأرجح الرجاء على الخوف لحسن ظني بكبراء القوم وزعمائهم الذي لا ينقضه وقوع بعض الاغلاط منهم ؛ التي تولد منها ما تولد من سوء الفهم ، الذي يسهل تداركه مع حسن القصد ؛ وقد رأيت بوادر الارتياح الى التدارك من فخامة الصدر الاعظم فمن دونه من رجالهم الذين اتفق لي الحديث معهم ، بل رأيت الكثيرين من فضلائهم قد اقبلوا بعد نشر النبذة الاولى من هذا المقال في جريدة (اقدام) بالسلام عليّ والتعرّف بي والشكر لي والاعتراف بحسن ما دعوت اليه من وجوب الاتحاد والاعتصام . وكذلك فعل الكثيرون من وجهاء العرب المقيمين في هذه العاصمة . افليس هذا دليلا على صدق ما جزمنا به من كون المسألة التي نبحث فيها مسألة سوء فهم يسهل تداركها قبل اتساع دائرتها ؟ بلى ؛ ومتى وضحت الاسباب ، زال الارتياب ؛

تاريخ التغاير بين العرب والترك

ان الطبيب لا يحسن معالجة المريض ويكون جديرا بالنجاح فيها الا اذا كان عارفا بتاريخه الصحي وبما طرأ عليه من الامراض من قبل، بل يجب ان يكون مع ذلك على علم بالحال الصحية في آبائه وعشيرته ليعرف استعداد مزاجه وما عسى ان يكون قد سرى اليه بالوراثة ، وكذلك يجب ان يعرف الطبيب الاجتماعي تاريخ الامم والشعوب التي يتصدى لارشادها ومعالجة امراضها الاجتماعية ، واخلاقها وعاداتها الطارئة والموروثة ، وهذا مايدعونا الى الاشارة الى مالابد من التذكير به من تاريخ التغاير بين هذين العنصرين اللذين يجب ان يتحدا دائما كاتحاد عنصري الهواء أو الماء

كان للعرب مدنيات قديمة قد امتدت من بلادهم الى بلاد الكلدان والفرس من جهة الشرق والى مصر من جهة الغرب فتاريخ دولة الرعاة العربية في مصر معروف ويقول بعض المؤرخين انه كان لهم في تلك البلاد دولة اقدم منها، وشريعة حمورابي وهي اقدم الشرائع المعروفة من التاريخ شريعة عربية ، حمورابي العربي كان يدعى ملك السلام كما في العهد العتيق والعهد الجديد من اسفار أهل الكتاب وكان معاصرا لابراهيم الخليل عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، الا ان تلك المدنيات قد زالت كما زال غيرها من المدنيات القديمة — ولم يظهر شيء من آثارها الا في هذا العصر الذي عني فيه الاوربيون باستخراج الآثار القديمة من بطن الارض، وسيجاريهم العثمانيون في ذلك وهم أحق بمعرفة تاريخ البلاد التي ورثوها ويوجب عليهم الدستور في هذا العصر عمارتها كما أوجب الاستبداد على سلفهم اهمالها ان لم نقل تخريبها

ثم اتى على العرب حين من الدهر لم يكونوا فيه شيئا مذكورا في عالم المدنية حتى انبلج فيهم فجر الاسلام بمكة المكرمة وطلعت شمسه بالمدينة المنورة ثم امتد نوره الى سائر الآفاق ، واتسعت فتوحاته في الشرق والغرب ، واحيا العلوم التي كانت قد ماتت، وجدد المدنية التي كانت قد عفت وطمست ،ولكن كان من تعاليمه محو العصبية الجنسية، ولذلك كانت الدواوين التي دونها الخليفة الثاني للحكومة في بلاد الشام بالعجمية الرومية الى عهد عبدالملك بن مروان، وكان وزراء اعظم الخلفاء العباسيين

من الفرس ، وحاشية آخرين منهم وحرسهم وجندهم الخاص الممتاز من الترك . ثم حدثت في بلاد الخليفة العباسي سلاطين الطوائف فكان منهم الفارسي والتركي والكردي، ولم يخطر في بال العرب ان هؤلاء غرباء عنهم، وانه يجب تأليف عصبية عربية لنزع الملك منهم؛ ذلك بأن الاسلام نزع عصبية الجنس من قلوبهم بقول الله لهم في سورة الحجرات «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم» فعلمهم ان الشعوب التي تختلف باختلاف الجنسية والقبائل المتفرقة باختلاف النسب يجب ان تتعارف فتأتلف ، لا ان تتناكر فتختلف، و بذلك أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وصرح بأنه لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى، ولذلك كانت العرب ولا تزال تفضل مثل ملكشاه السلجوقي وصلاح الدين الايوبي الكردي على أكثر ملوك بني أمية . ولذا سهل على ملوك آل عثمان الاستيلاء على البلاد العربية ولم يخطر على بال الامة العربية أنه قد استولى عليها قوم ليسوا من جنسها، اذ ليس لها – ومعظمها على الاسلام – جنسية غير دينها . ألم تر الى الشعب المصري العربي كيف يئن من نفوذ الانكليز وهم ليسوا غالبين، ويحن الى الترك وان كانوا الى آخر عهد عبد الحميد من الظالمين، ومن الامور التي لاينكرها مصري ولا تركي ان الانكليز قد اصلحوا من بعض الوجوه في مصر وأن الترك لم يصلحوا فيها شيئا ، ولا نزيد على ذلك لئلا نخرج الى ما ليس من غرضنا أو الى مايوشك ان يضعف صوتنا فيه

يقول بعض المتفرنجين منا ان عدم تعصب العرب لجنسهم كان ضارا بهم لانه أزال ملكهم ، وان الترك لو عملوا بهذه السياسة الاسلامية لكان شأنهم في ذلك كشأنهم . ونقول ان هذا القول باطل وليس هذا المقام مما يتسع لبيان بطلانه بالحجة والبرهان ، وانما الغرض مما تقدم بيان ان العرب لا يكرهون سلطة الترك تعصبا لجنسهم ، بل يكرهون منهم بعض الاخلاق والاعمال كما ينكر بعض أفرادهم وبعض جماعاتهم على بعض . هذا ما عليه مجموع الامة العربية لا جميع افرادها فانني لاأنكر انه قد وجد كثير من المتعلمين الميل الى التعصب الجنسي والاستقلال العربي وهو المقصود من بحثي هذا

ان الدولة التركية لم يكن لها في عصور قوتها نفوذ ولا سلطة ولا دواوين ولا محاكم في داخلية البلاد العربية ولا مدارس تركية فهي لم تمتزج بالعرب ولم تلتحم معهم بلحمة العدل والعلم واللغة فيكون الترك والعرب امة واحدة ، ولم تسسهم بالقوة والجبروت والظلم العام فتفسد بأسهم وتجعلهم امة ذليلة ، بل كانت الى ما قبل « التنظيمات الخيرية » التي وضعت في عهد السلطان عبد المجيد (رحمه الله تعالى) تكتفي بارسال بعض عمالها الى بعض البلاد الكبيرة لاجل اخذ ما فرض على كل جهة من المال للدولة ، ولكن البلاد المصرية قد ذاقت من الظلم في عهد المماليك ماصارت تعد به عصر محمد علي باشا وعصر احفاده عصر نور واصلاح ، على ما كان فيه من ظلم وجور ، ومع هذا كله لم تتوجه نفوس المصريين الى طلب الاستقلال التام عن الترك الا في عهد الثورة العرابية ، ثم لما كانت عاقبة الثورة هي احتلال الاجانب للقطر المصري حدث للمصريين من التعلق بالدولة العلية ما هو معروف وقد أشرنا اليه آنفاً

بعد « التنظيمات الخيرية » تغلغل عمال الحكومة من الترك في البلاد العربية فلم يكن الناس يستنكرون سلطتهم ، أو يستثقلون وطأتهم ، ولا كانوا يرون أنفسهم أذلاء لخضوعهم لحاكم أجنبي عنهم بل كان السواد الاعظم وهم المسلمون يعدون التركي منهم لانه مسلم وهم قلما يفكرون في مسألة الجنسية ، وأما غير المسلمين فلم يكن عندهم فرق بين التركي المسلم والعربي المسلم فهم كالمسلمين كانوا لا يفكرون في غير الرابطة الدينية ثم صار المتعلمون منهم على الطريقة الاوربية يدعون الى الرابطة الوطنية على ان اكثر اهل بلادنا لايفهمون من معنى الوطن الا موضع الاقامة حتى ان كل بلد عندهم وطن وهذا هو المتبادر من المعنى اللغوي . ثم ان النصارى سبقوا في كثير من البلاد العربية الى التقرب الى حكام الترك بتعلم التركية حتى صار كتاب الدواوين كلهم أو جلهم منهم في أوائل العهد بالتنظيمات ثم قل عددهم فيها بعد ذلك

نعم ان جهل أهالي البلاد للغة التركية وجهل الحكام من الترك للغة العربية كانا ولا يزالان من أسباب الجفاء وعدم الانس ، واشتهر الترك على رقة حاشيتهم وعلو أدبهم بالكبر والغلظة على ان كثيرا منهم كان يتكبر لظنه ان التكبر يكون أدعى

الى المهابة والاجلال ولكن لم يكن يشعر بهذا إلا بعض أفراد الامة وهم رجال الحكومة من أهل البلاد فلم يكن له تأثير في الامة يوجب سريان الكراهة للجنس ، وإنما كان يعرف بين الناس وصف الحاكم من حيث هو حاكم فيقال هذا الوالي أوهذا المتصرف عادل لايأكل «الرشوة» وهذا الوالي أو المتصرف يأكل ويشرب ... وكثيرا ما كان الناس قبل هذه الايام يمدحون الترك كلهم لوجود حاكم عادل منهم وقلما كانوا يذمونهم كلهم لظلم الحاكم منهم على أن الظالمين كانوا بطبيعة الاستبداد أكثر من العادلين

وقد عرف بين الناس في الولايات العربية شيء آخر لا بد من ذكره وان كان مرا لاننا نبحث في هذه المسألة بحث الطبيب الآسي وفي المثل العربي «من كتم داءه قتله» ذلك الشيء هو أن الترك يبغضون العرب . ويتناقل الناس في كثير من البلاد العربية كلاما سمعوه من بعض حكام الترك صريحا في هذا ولا أحب أن أطيل في بيانه ولولا انه مشهور لما ذكرته ليعرف اخواننا الترك من ولاة الامور وأصحاب الصحف فيكونوا معنا على بصيرة فيما نطلبه من خير الامة بالاعتصام والوحدة

يمكن أن يقال ان ماسمع من تصريح بعض الترك ببغض العرب هو من الجزئيات التي لا تبلغ أن تكون استقراء ناقصا فالحكم بها على الجنس كله حكم باطل ولا سيما اذا عرف لها سبب يوجد في صنف من افراد الجنس دون غيرهم . وقد علمت بعد البحث والتحري ان هذا الصنف الذي قد بدت البغضاء للعرب من افواه كثير من أفراده هو صنف المتفرنجين والضعفاء في الدين من الذين يثقل عليهم مزاحمة العرب لهم في خدمة الحكومة وفي التوسل اليها بالتعلم في المدارس الرسمية فان بعض المتخرجين في هذه المدارس من ابناء العرب وبعض التلاميذ الذين لا يزالون فيها يذكرون من تعصب بعض المعلمين عليهم مالا محل لشرحه هنا . ومن المشهور عن كثير من الترك الصالحين وغير المتزاحمين معهم على اعمال الحكومة أنهم يحبون العرب حبا دينيا حتى ان منهم من يتبرك بالعربي لانه عربي فالحقيقة الممحصة هي انه ليس بين الجنسين عداوة ولا بغضاء فنقول ان الاتحاد بينهما متعذر أومتعسر وانما هو التنافر والتنافس في طلب المناصب والوظائف وفي

صفوف المدارس قد وصل مع الغلو الى التحاسد كما أشرنا الى ذلك في فاتحة النبذة الاولى ومثل هذا التنافس والتحاسد يقع بين المتزاحمين من ابناء الجنس الواحد فتلافيه سهل ان شاء الله

والخلاصة ان تاريخ العلاقة بين الترك والعرب لم يكن فيه شيء اكثر مما ذكرنا ولم يكن ذلك في الماضي مما يخطر على بال زعماء العرب السعي الى انفصالهم من الترك واستقلالهم بأنفسهم ولا ذكر هذا على لسان احد الا في عهد ولاية زعيم الحرية والاصلاح (مدحت باشا) على سورية ففي عهده شاع ان في البلاد حزباً كبيراً مؤلفاً من وجهاء المسلمين والنصارى في بيروت والشام يسعى الى جعل القطر السوري مستقلاً كالقطر المصري تحت سيادة الدولة العلية ويكون الخديو له مدحت باشا. وقيل ان بعض «الماسون» كانوا يسعون الى جعل الامير عبد القادر الجزائري هو الخديو لهذا القطر. وقد سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان مدحت باشا على سعيه في اصلاح الدولة اعتقد ان اصلاح البلاد السورية وجعلها خيراً من البلاد المصرية لا يتأتى الا باستقلالها الاداري فكان يمهد السبيل لذلك فشعر بالامر رستم باشا متصرف لبنان فكاشف به الدولة فكان ذلك هو السبب في عزل مدحت من ولاية سورية. ولكن أخبرني بعض العارفين بدخائل السياسة في ذلك الوقت ان السلطان عبد الحميد هو الذي أوجد تلك الاشاعة في سورية ليتوسل بها الى اخراج مدحت من سورية لاجل الانتقام منه. ويقال ايضاً ان لبعض الاجانب يداً في توجيه نفوس الناس في سورية الى هذه الفكرة. وقد حدثني بعض اصحابي الذين كانوا من عمال الحكومة في عهد مدحت باشا انه سأله عما يقال في هذه المسألة فقال له زعيم الاحرار ان هذه دسائس من الاجانب يريدون بها فصل سورية من الدولة ليستولوا عليها

مثل هـذه الدسيسة لا يستغرب من سياسة «يلدز» التي كانت مبنية على المكايدة والخادعة واخفاء الحقائق بألوان التمويه والتلبيس وهي التي لعبت بالثورة العرابية ذلك اللعب المشؤوم ومكنت للانكليز في أرض مصر ثم أرادت ان ترضي سائر الدول القوية بتمهيد السبيل لتمكنهم في سائر أرجاء الدولة في مقابلة مصر

فأعطت الالمانيين سكة حديد بغداد وقررت اعطاء الروسيين مثلها على شواطئ البحر الاسود — وقد راجت تلك الدسيسة الحميدية على اهالي سورية فشاع بينهم ان مدحت باشا وهو المعروف بحب الاصلاح ما أراد انشاء دولة عربية الا بعد يأسه من قدرة قومه على سياسة الملك واقامة العدل وتشييد دعائم المدنية بما تقتضيه حال العصر ، فكان هذا اول فكر في التفير من السلطة التركية سرى في بلاد عربية ، وقد نظمت فيه القصائد البليغة المؤثرة كالقصيدة السينية الشهيرة لليازجي ولكنه فكر لم يتلقه السواد الأعظم بالتسليم

ثم سكنت هذه الافكار بعد اخراج مدحت باشا من سورية بعدة سنين حتى اذا ما اشتدت المظالم الحميدية في السنين الاخيرة وقويت فتنة الجبن وفتنة "مكدونية" عاد بعض الناس الى الحديث فيها بمصر وأوربا فكان المشتغلون بالسياسة من ابناء العرب على ثلاثة آراء بعضهم يرى السعي في أوربا لاستقلال البلاد العربية كأصحاب جريدة النهضة العربية في باريس ولم يكن لهم تأثير لعدم انضمام احد من المسلمين اليهم ولاتهامهم بانهم يريدون الاستفادة من السلطان عبد الحميد بالايهام الذي كان يروج في سوق سياسته أو وسواسه

و بعضهم رأى انه يجب اتحاد المسلمين مع اليهود والنصارى على العمل ووضع له قانونا جعل فيه من الامتياز لليهود ما كان ضامنا به أن يبذلوا للمشروع الملايين من أموالهم ليعطى بعضها لعبد الحميد ورجاله ثمنا للبلاد التي يراد استقلالها وكان يعتقد أن إرضاء « يلدز » بالمال متيسر او مضمون وقد أطلعني صاحب هذا المشروع أنا و بعض أصدقائي على قانونه فلم نوافقه على السعي له مع علمنا بما لليهود من اليد العاملة في كل انقلاب كبير في التاريخ و يؤيده ماحصل أخيرا من الانقلابات ...

والرأي الثالث هو ماعليه جمهور المشتغلين بالسياسة وهو انه يجب الاتحاد الدائم بين العرب والترك والمحافظة على كيان الدولة العلية بالسعي في اصلاحها وجعلها دولة دستورية ولاجله اسسنا جمعية الشورى العثمانية من جميع العناصر كما اشرنا الى ذلك من قبل . هذا ملخص تاريخ هذه المسألة قبل الانقلاب الاخير فماذا جرى بعده؟؟

(للمقال بقية)

أبو حامد الغزالي (*)

٧

﴿ رأيه في التوحيد والتوكل ﴾

« ويدخل فيه بيان وحدة الوجود والجبر والكسب »

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم أن التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل ، فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ماتبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لاشريك له ، والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك ، والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد . فمن قال لااله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل ، اعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه

فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولايتم علم المعاملة الا بها فاذاً لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لاساحل له فنقول : للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته

(*) نقلا عن كتاب احياء علوم الدين وهو تابع لما في « ص ٦٧١ » من الجزء التاسع

العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا آله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين · والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام · والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار · والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدًا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق

فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان ، والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقيدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة ، والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد · فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة

السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب ، وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان أكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا أطفأ النار وأكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن، وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) و بقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه)

وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وأكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون: افشاء سر الربوبية كفر، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى

واحد اذ تقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة اسامه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخر سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت ؟ فقال ادور في الاسفار لاصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع

فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلابد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث ، وأما الاول وهو النفاق فواضح ، وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه ، وأما الثالث فهو الذي ينبني عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع

وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم ـ فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله عز وجل لاشريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك و به ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وماسواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض

وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق الى قلبك شائبة الشرك لسببين أحدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات أما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لايتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى أن ينتهي الى المحرك الاول الذي لامحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لامن محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لاحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فاذا انكشف لك ان جميع مافي السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان

خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في المملكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ؟ ويقول له ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له؟ وعند هذا زل أقدام الا كثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم يشرح نور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض

بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر) الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط

أمينا على أسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق؟ ولو جاز افشاء كل سر لنا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال «اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا» ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار

فاذًا عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان: أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه وترد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد؟ فلم سودت وجهك وما السبب فيه؟ فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعاً ساكنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحتت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه وانما أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي

التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والحجر والشجر لايتعدى شيء منها مكانه ولايتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أماترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لامعاملة بينها و بين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم مليم وكم من ملوم لاذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا اسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوماظن الظانون بي اني ميتة أومعدومة لاني ما كنت أتحرك ولاأحرك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني الى ماتراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة ماالذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وأرهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وأنت تلوم فاني ماانتهضت بنفسي ولكني أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر حازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لايبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لاتفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض

الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني كنت أطيب نفسه بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا ، أسمع جعجعة ولا أرى طحنا !

فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق التي توجهت اليها كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فألق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا أدري كيف تسلم فيها ، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته

الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف . فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء » لما قيل له انه كان يمشي على الماء

فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتبت في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة

بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فخلا واطو الطريق فانت بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله تعالى عني خيراً اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام

فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادتي لك وانا عازم على أن اسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سألته فأحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال : فمن يمين الملك ؟ فقال القلم : أما سمعت قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) قال نعم والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لاتحوي مجلدات

كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ماقبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولاارجو سواك ولااعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن اسألك واتضرع اليك وأبتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه مازاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول: العجز عن درك الادراك ادراك. فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا

فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل ، الآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره

وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بالآخر والظاهر ليس بباطن؟ فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحد بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد. فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه يبتني على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه؟ فأقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فإن قال وأنا من جملتهم فاني شاك أيضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء

هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا

ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضاً توحيداً إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقله: إله العالم واحد والمدبر واحد اذ (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً التوكل وأصلا فيه؟ فأقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا أنه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه أو الى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من استاذه أو من أبويه أو من أهل بلده

وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحرة لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ماجاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) بل (قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فان البيان والكشف يمنع التغير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله (هذا الهكم واله موسى) ونسوا (انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) فكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك

ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا؟ فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل مايشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن اليه المشيئة فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لامحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لاتنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا؟ فأقول لوانكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذاً مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار؟ فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الاعلم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه إذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات: فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرارا فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة

الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا الجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع للعلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل اوالترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية

فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الانسان أن يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء أن يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل

هنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف القتل فانه يرمي بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة" لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولا. فاذاً معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذاً هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فنا ثالثا واتبعوا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه

فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض؟ فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو

الاصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيدعن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا أشار قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) وقوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما الا بالحق)

فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لايتصور ان يكون الا كاحدث وعلى هذا الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالاً يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بأن تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر اعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقبه اذيقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند

غسل الوجه فاذاً غسل الوجه هو الرافع الحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لا يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر الصلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الأزلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم

فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترَع بالمخترِع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى

العباد ونسبها بعينها مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) ثم قال عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال تعالى (أفرأيتم ماتحرثون) أضاف اليناثم قال تعالى (أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا) وقال عز وجل (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) ثم قال تعالى (فنفخنا فيها من روحنا) وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فأضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وقال تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهراولكن معناه ومارميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا إذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى (الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) ثم قال (الرحمن علم القرآن) وقال (علمه البيان) وقال (ان علينا بيانه) وقال (أفرأيتم ماتمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام « انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب اذكر أم انثى أسوي أم معوج ؟ فيقول الله تعالى ماشاء ويخلق الملك ـ وفي لفظ آخر ـ و يصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة »

وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا

ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر أن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذاً الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة «خذها لو لم تأتها لأتتك» أضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لاهله» فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصداً أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: ألا كل شيء ماخلا الله باطل» أي كل مالا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذاً لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يامسكين كان ولم تكن و يكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان

فان قلت فقد ظهر الآن أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه؟ فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان

بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان وحكايته طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كال او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ماخلق الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور

وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ماينبغي وكما ينبغي و بالقدر الذى ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالوهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بأرواح

البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء اهل الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فقتضي الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الا كثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون

والحاصل ان الشر والخير مقضي به وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر ، وحصوله بقدر معلوم منتظر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

باب المراسلة والمناظرة

تعصب أوربا الديني والحج

﴿ تمهيد لمقالة من سنغافورة ﴾

أثبتنا في السنة الأولى من المنار أن الغلو في التعصب الديني ولد في أوربا ثم أعدنا الكرة في هذا مرة بعد أخرى حتى في بعض أجزاء هذه السنة. ومن العجيب أن نرى جرائدنا السياسية غافلة عن تنبيه أهل الشرق إلى هذا أو وجلة من ذلك وأصحابها يرون ويسمعون ويقرأون كل يوم مايؤيده حتى ان بعض الجرائد الافرنجية التي تصدر في مصر نفسها آنا بعد آن من آيات تعصبها عجبا فهم على جهلهم بالاسلام يطعنون في أحكامه الحكيمة العادلة ويحرفون بجهل أو بسوء قصد بعض آيات القرآن كما فعلت اكثر من واحدة منهن في الصيف الماضي بتحريف قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) الآية إذ أولوها بأن الاسلام يوجب على المسلمين ان يقتلوا كل من لقوه من الكفار في كل مكان وكل وقت سواء كان محاربا لهم أم لا، ولو كان هذا معناه لما عاش أحد من الكفار في الممالك الاسلامية وقد كان المسلمون قادرين على إبادة مخالفيهم من الشرق الادنى ومن بعض بلاد أوربا أيضا ولكنهم كانوا يعاملونهم بأفضل مما تعاملنا به أوربا اليوم في جاوه وسنغافورة والهند وتونس والجزائر.

وانما الآية في كيفية القتال مع الكفار المحاربين فهي تأمرنا ان نجعل قتل عدونا في الحرب مقيدا بالاثخان وان نكف عن القتل اذا أثخنا وظفرنا ونكتفي عند ذلك بأسرهم فكأنه يقول: اقتلوا في المعركة من يقاتلكم مادمتم خائفين على أنفسكم فاذا ظفرتم فكفوا عن القتل واسروا المقاتلين اسراء أفليس هذا منتهى الرحمة؟ بلى وهو يقول بعد ذلك في الاسرى من هذه السورة (فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ذلك

ولو يشاء الله لانتصر منهم) فهل بعد هذا من رحمة ورأفة في الحرب ؟ وهل يعترض على تلك الآية الا كل غال في التعصب ؟وهو ماعليه الاوربيون وأضاليلهم أدل على التعصب من أقوالهم

ان الانكليز لم تستقر أقدامهم بمصر الا وحاولوا أن يثبتوا في مؤتمر طبي كون الحجاز هو مهد الهيضة الوبائية وقد ضغطوا على الخديو توفيق باشا ليكره طبيبه سالم باشا سالم باقرار ذلك فأمره بأن يوافقهم فلم يفعل حتى أظهر توفيق باشامغاضبته إرضاء لهم ،ثم انهم لما باعوا البواخر المصرية لشركة انكليزية بثمن لايزيد على ثمن مافيها من الاثاث والماعون (الموبليات)وان شئت قلت وهبوها البواخر وأرصفتها حملوا الحكومة على إلزام حجاج المصريين السفر في هذه البواخر دون غيرها وكانت الشركة تسيء معاملة الحجاج الذين يركبون بواخرها ولكن الظلم الذي يكون في مصر نفس كالظلم الذي يكون في مثل جاوه أو سنغافوره بل يكون ظلما مفضوحا فيها وفي أوربا فلذلك ولما بذل من السعي في تحسين معاملة الشركة للحجاج اتفق لورد كرومر مع الحكومة المصرية على وضع نظام معتدل لنقل الحجاج المصريين في هذه البواخر ،وكان انفع تلك المساعي ماقام به مستر ويلفرد بلنت المستشرق الشهير وما كتبه في ذلك الى لورد كرومر وما نشر في الجرائد الانكليزية. فهذا التحسين لم يكن من رحمة لورد كرومر ورأفته ولامن عدله وعدل حكومته ولكن كان امرا اضطراريا لابد منه ولو كان ذلك من رحمة الحكومة أو عدلها لكان عاما في سنغافورة وفي كل بلاد لها سلطان عليها

هذا ماتقوله تمهيدا لرسالة جاءتنا من سنغافورة ورغب الينا ان ننشرها في عدة جرائد اذا أمكن وقد شدد الكاتب النكير فيها على الاوربيين وسمى تعصبهم الحامل لهم على إهانة المسلمين وهضم حقوقهم تعصباصليبيا يعني انه تعصب لأجل المسيحية ثم ان المسيحية تتبرأ من مثل هذا العمل الذي يصفه صاحب الرسالة بل هي تتبرأ من هؤلاء الافرنج عباد المال والقوة واعداء الضعفاء من غير أبناء جنسهم ولكن ماذا يعتقد وماذا يقول مثل هذا الكاتب الذي رأى بعينيه واختبر بنفسه تضييق هؤلاء

وانكارا على الحجاج دون غيرهم وهو يعلم كما يعلم كل احد انه لاعذر لهم في ذلك؟ أليس يعد معذورا في كل ماقاله ؟ بلى وهذا نص رسالته :

الحج

﴿ أوربا والاسلام ﴾

ماذا تريد أوربا من الاسلام وأهله؟ انها لم تزل تحاربنا حربا صليبية كأشد مايكون من الحرب متحدة متناصرة من حيث ندري ولا ندري فانها لاتسنح لها فرصة الا ووثبت على قطر فافترست استقلاله والتهمت ثروته واستعبدت أهله ونشرت فيه الجرائم الضارة المهلكة للعقول والابدان والأموال (الخمر والزنا والقمار) كل ذلك باسم الانسانية وتأييد الحقوق وتأمين التجارة وحب الخير و.و.و.وماهو الا الكذب والخداع والغدر والاحتيال ولقد رابها مانرى من عطف المسلمين بعضهم على بعض ذلك العطف الذي يوجب الاسلام ان يكون على أقوى مايتصور ولكنه وياللاسف لا يوجد منه الآن الا اسم بدون مسمى ومع ذلك لم يرق لدى أوربا الرحيمة فصاحت الصيحات المزعجة وسمته التعصب الديني ونسبت اليه ماشاءت ولونته بما أحبت وصورته غولا يبتلع الانسانية ويبيد المدنية ولقد نجح مسعاها فاصغى الى زورها من تربوا في أحضانها من شباننا ومن تخرج في مدارسها المحشوة بالرهبان والقسوس وبالملاحدة فكانوا طليعة الاعداء وسلما لهم وحبالة يصطادون بها سخاف العقول والجهال منا فلا حول ولا قوة الا بالله

كبر على أوربا المتمدنة أن تكون للمسلمين ندوة عامة وهو الحج يلتقي فيه أهل الغرب منهم بأهل الشرق وأهل الجنوب بأهل الشمال فقامت تحاربه فقالت ان الحجاز ينبوع الامراض ولوانصفوا لعلموا ـ ومااخالهم جاهلين ـ ان الهند منذ بع قرن لم يفارقها الطاعون وهنكوغ منذ ١٥ سنة كذلك وغيرها كثير فلماذا لاتنظر أوربا الى تلك الجهات وتقيم عليها الحجر (الكورنتينات) بل تغض عنها النظر ولكنها في مقابل ذلك

من وزراء أوربا بينت شقة ؟ أتراهم لم يعلموا انه لم يبق من أربعة ملايين فيها الا نحو الربع : كلا انه من المستحيل ان يعلم بذلك كل أهل الدنيا ويجهله وزراء الدول المتمدنة الرحيمة . بل الحقيقة ان أولئك المقتولين المضطهدين مسلمون والقاتلين الظالمين لهم نصارى .....

قالوا ان الحجاز محل الاستبداد والنهب والظلم وقد علموا ان وجود ذلك مسقط لوجوب الحج أو مانع من دخول الحجاز وقد صدقوا ولكن ذلك كان في أيام الطاغية راتب باشا وقد طار الاستبداد معه . وقالوا انهم لذلك احتاطوا للمسافر اليه . ولو رفعوا تلك الحواجز الآن ونسخوها لقلنا انهم صدقوا فكيف وقد كذبوا أنفسهم بأنفسهم بثباتهم على العدوان والتشديد مع سبق الاصرار على ذلك ؟ ولسان الحال أفصح من لسان المقال .

انهم بما سنوه من القوانين وأوجبوه من الشروط قد جعلوا الحجيج من الاصناف المحتكرة كالافيون والخمر فاختص بهم بعض الشركات القاسية تسومهم الخسف وتنهب أموالهم فقد كانت اجرة الذهاب من سنغافورة مثلا الى جدة يتراوح بين ١٧ ريالا الى ٢٠ ريالا وهو الآن ١١٠ ريالات ذهابا وايابا ! ولو لم يقيدوه بالشروط المخصوصة لم يزد على ما كان ان لم ينقص لان المراكب التي تذهب من الصين الى أوربا لاتعد كثرة وسطوحها فارغة وكذا كراتها ان لم تكن مراكب بريد ولا يكلفها أخذ الحجيج شيئا الاساعات قليلة تنحرف بها عن سبيلها حين ادخالهم جدة فيكون جل ماتكسبه من الحجاج أوكله ربحا . ولكن كيف وانى وقد احتكر وافضل رحمة الرحماء من صليبي أوربا وصاروا من حقوق بعض الناس وبعض الشركات يورثونها من بعدهم !!! أفلا تكون هذه نخاسة من مخترعات القرن العشرين ؟ فهنيئا مريئا للأقوياء ما استحلوا من ظلم الضعفاء ، اذ لاراحم للمسلم الضعيف ولا معين ...

أما المراكب التي اختصت بأخذ الحجاج من سنغافورة وجاوة فلا كرات فيها ولقد رأيت أمراء هذه البلاد وأبناءهم يركبون ظهور تلك المراكب الوسخة بين الفحم والبهائم مضطرين وقد اعتادوا صنوف النعم والرفاهة والنظافة فيمرضون ويسقمون وكثيرا مايهلكون ، ويقاسون من العذاب والنكال مايرحمهم عليه زبانية جهنم

ولا يرحمهم محبو الانسانية من الاوربيين! وما هو ذنبهم؟ هو ذنب عظيم ألا انه هو قصدهم الحج وذهابهم الى الحجاز وأوربا لا تحب ذلك، ففي تعاقبهم وحجزهم في تلك المراكب العفنة ثم تسوقهم الى الحاجر حيث تعري ابدانهم و يهانون ويتلف من أموالهم ما أبقته أيدي السراق والامطار والانواء . ولقد لقيت أحد كبراء هذه الجهات بعد خروجه من الحجر فرأيته كأنما نشر بعد ما قبر ولو أراد أن يذهب بأحد مراكب البريد أو يركب من غير مراكب الشركة المحتكرة للحجيج لأقامت الحكومة عليه وعلى الباخرة التي تقله الدعوى وحكم عليه وعليها بأشد أنواع العقوبات رحمة وشفقة !!

لو فرضنا ان الحكومات الاوربية تحب ان تخدم الحجيج ، وانها تعتقد أنهم في منزلة القصار وعديمي الرشد لسلبت منهم ما تصله لو أرادت قتل قطيع من البقر الذبح فانها تعلن ذلك الامر والشروط المرغوبة وتعطيه لمن يطلب أقل أجرة عليه ـ ولو فعلت هذا لما كانت تبلغ أجرة الحاج الواحد ذهابا وايابا ٥٠ ريالا فينوفر لكل نفر من الحجاج من ركاب السطح ٧٠ ريالا وهي شيء كبير بالنسبة لفقر الاهالي اذ الكثير منهم لا يقدر على توفير ذلك المبلغ في ثلاث سنين ولكنهم عندها أقل من البقر ومعاملتها تفصح بهذا وكان يجب عليها ان تحتم على من منحتهم نقل الحجاج ارجاع اجرة العودة الى ورثة من مات ولكن الامر الآن بالعكس فأنا أكتب هذه الاسطر وأمامي أحد الاهالي و بيده ٢٥ ورقة مات أهلها وقد دفع أجرة العودة كل واحد منهم ٥٥ ريالا ولكن الشركة (الكبانية) أبت ان تدفع له ذلك واتفق مع احد المنتسبين اليها أن يشتري منه تلك الاوراق بعشرين ريالا فقط ثم أبى وقال بعها لمن يريد العودة من جدة ومعلوم انها هناك تباع بدنانير بالات أو نحو ذلك والحكومة تساعد الاوربي الظالم على الاهالي المساكين ، وذلك ايضا رحمة وحنان !!

ثم ان طرحها أمر تسفير الحجيج في المزاد كما قلنا مناف لحرية التجارة ولكن ذلك مع نفعه للمساكين أقل اثما من انها كالحرية الاشخاص بمنعهم من السفر كما يشاؤن. فاذا جاز هذا جاز ذلك بالاولى قطعا اما تقييدها حرية الحجاج المساكين

وتركها لهم مربوطين بين يدي اولئك النخاسين الغلاظ الاكباد فظلم من اشنع وأبشع أصناف الظلم فيا نعتقد

ويجب أن يستثنى من ركب الكرات من كل قيد كما هو الحال بالهند والصين ومن العجب أن يكون ركاب الدرجة الاولى والثانية وخدامهم مستثنين من الحجر الصحي والتطهير مطلقا عنا وفي الهند والصين ولا يستثنون إن سافروا الى الحجاز؛ فاذا بفعل التعصب الاعمى قاتل الله الاغراض

ومن الغريب ان مجلس المبعوثان المحترم لم ينبس أحد من اعضائه ببنت شفة في هذا الصدد وذلك اهمال او جبن ولا اقول لاجل أن يتحقق مسلمو الشرق مايقوله اعداء جمعية الاتحاد والترقي الموقرة من بغضها لكل ما يتعلق بالدين ليفصموا عرى اتحاد المسلمين من كل جهة فانا نتحقق كذب هذا القول بالنسبة لعقلاء القوم وفضلائهم واذا كان فيهم زنادقة أو متفرنجة او نصارى جهال فانني لاأبخل عليهم بنصيحة يتحققون صدقها . وهي ان منفعتهم كبيرة جداً في تمسكهم بالاعتدال في كل حال وفي اجتلاب محبة المسلمين كلهم والسياسة توجب عليهم الاجتهاد في ذلك ولهم بفرنسا قدوة حيث طردت قسوس الجزويت من بلادها وحمتهم في الشرق فليتظاهروا بذلك لنفعه المقطوع به ولا يكونوا السبب في خسارة الدولة ام قوة يحسب لها عدوها الف حساب وحساب فلهذا نستصرخ باعضاء المبعوثان الكرام و باهل الجرائد وحملة الاقلام والعلماء الاعلام ليقيموا الحجة ولا يسكتوا عن المطالبة بالحق والانصاف فان انصار الحق كثيرون في أوربا وغيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل

سنغافورة (س . س . ي)

* * *

﴿ الشيعة وتعدد الزوجات ﴾

كتابي الى مولاي الاستاذ الحكيم ، بعد السلام عليه ورحمة الله وبركاته ، كتاب معجب بماله من الايادي البيضاء في اصلاح الامة ورفع « منار » الاسلام

وارشاد المسلمين الى الطريق الأقوم والصراط السوي ، بيد اني اعتقد انه لابد للجواد أن يكبو ، والصارم أن ينبو ، فقد رأيت في الجزء الثامن من مناركم (صفحة ٥٩١) ما يشعر بالنسبة الى الشيعة ماهم منه براء ، وما نسبة ذلك اليهم الا محض وهم وافتراء ، وهي انهم يجوزون الزواج الدائم باكثر من اربع لانهم أولوا الآية الكريمة بخلاف ظاهرها وفهموا منها مالم يفهمه سائر المسلمين بل ادعيتم اجماعهم على ذلك مع ان اجماعهم على عدم حل التزوج باكثر من اربع كما ستعلم . ولما قرأت ما كتبتموه عجبت اشد العجب لعلمي بعدم صحة ما نسب لهم قلت لعلي لم أطلع تمام الاطلاع على دخيلة الامر فعرضت ذلك على فريق من علماء الشيعة فاستنكروا ما عزي اليهم غاية الاستنكار ، وعجبوا كيف يصدر هذا الخطأ من فاضل نظير صاحب المنار ، ثم استحضرت الكتب الفقهية التي عليها اعتماد الطائفة الشيعية ، لعلي أعثر لذلك على اثر ، أو أقف له على خبر ، فلم أجد ضالتي المنشودة بل وجدت خلافها وها انا انقل لكم عباراتهم بالحرف الواحد لتعلموا صدق ما اقول وتكونوا على بينة من الامر وتزيلوا هذا الغشاء عن البصائر والابصار

قال في تذكرة الفقهاء لمولفها الحسن بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة وهو من اعظم علماء الشيعة واجلهم قدرا عاش في القرن السابع والثامن مانصه :

« مسألة : أجمع علماء الامصار في جميع الازمان والاقطار على أنه يجوز للحر المسلم أن يتزوج بالعقد الدائم اربع حرائر ولا يجوز له الزيادة عليهن لما روي عن غيلان بن سلمة الثقفي أنه اسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربعا وفارق سائرهن ، وأسلم نوفل بن معاوية فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربعا وفارق الأخرى ، ورواية زرارة بن اعين ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال لا يجمع ماءه في خمس ، وفي الحسن عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام في رجل تزوج خمسا في عقد قال يخلي سبيل أيهن شاء ويمسك الاربع ، وحكي عن القاسم بن ابراهيم أنه أجاز العقد على تسع واليه ذهبت القاسمية من الزيدية ـ قال الشيخ رحمه الله : هذه حكاية الفقهاء عنهم ولم اجد احدا من الزيدية يعترف بذلك بل انكروها أصلا واستدلوا بقوله تعالى (فانكحوا

ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو للجمع ولان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع والواو ليست للجمع بل للتخيير كما في قوله تعالى (أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ولم يرد به الجمع اذ لو كان المراد الجمع لقال تسعة ولم يكن للتطويل معنى٬ قال الشيخ رحمه الله : لو كان المراد الجمع لجاز الجمع بين ثماني عشرة لان معنى قوله مثنى اثنين اثنين وكذلك قوله ثلاث معناه ثلاثا ثلاثا وقوله رباع معناه اربعا اربعا كما في قوله جاء الناس مثنى وموحدا أي اثنين اثنين وواحدا واحدا وهو باطل اجماعا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخصوصا بذلك فانه جمع بين اربع عشرة امرأة فثبت ما قلناه » اه

وجاء في اللمعة الدمشقية لمؤلفها محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول وشارحها زين الدين المعروف بالشهيد الثاني وهما من اعظم علماء الشيعة عاش الاول في القرن الثامن٬ والثاني في القرن الالف مانصه :

« السابعة لا يجوز لحر أن يجمع زيادة على اربع حرائر او حرتين وأمتين او ثلاث حرائر وامة بناء على جواز نكاح الامة بالعقد بدون الشرطين والا لم يجز الزيادة على الواحدة لانتفاء العنت معها وقد تقدم من المصنف اختيار المنع ويبعد فرض بقاء الحاجة الى الزائد عن الواحدة ولا فرق في الامة بين المؤمنة والمدبّرة والمكاتبة بقسميها حيث لم تؤد شيئا وأم الولد٬ ولا العبد أن يجمع اكثر من اربع اماء أو حرتين أو حرة وأمتين ولا يباح له ثلاث اماء وحرة والحكم في الجميع اجماعي » اه

وكلا الكتابين اللذين نقل عنهما مطبوعان في طهران عاصمة بلاد فارس

وقال في مجمع البيان وهو التفسير المعتمد عند الشيعة في معنى الآية (فانكحوا ماطاب لكم) الخ وطريقه ان يذكر الآية أولا ثم القراءة فالحجة فالاعراب فالنزول فالمعنى وهذا من جملة ما ذكره في معناها :

« وقوله مثنى وثلاث ورباع معناها اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلاثة وأربعة تسعة لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لايقتضي اجتماع الاعداد في الدخول

ولأن لهذا العدد لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من العي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلام لايحل لماء الرجل أن يجري في أكثر من اربعة أرحام من الحرائر اه

ولو أردنا استقصاء كلام علماء الشيعة لضاق المقام وطال الكلام وأظن فيما أوردناه مقنعا ومنه تعلم ان اجماع الشيعة على عدم حل التزوج بأكثر من أربع في العقد الدائم وأزيدك على هذا اني رأيت في أثناء مراجعتي الكتب الفقهية مالم أكن اعهده وهو استشكال لبعض علمائهم في الزيادة على اربع حتى في المتعة مع ان الاكثرين منهم ذهبوا الى عدم الحد بها

ومن المعلوم لدى الاستاذ ان العصر عصر دليل وبرهان فلا يجمل بصاحب مجلة معتبرة ان يورد أمرا لم يسبره بمسبار التحقيق ثم يعده من المسلمات البديهيات وعندي ان عدم التثبت في نقل الاخبار أوصل الامة الاسلامية الى هذه الحالة وجعل كل فرقة تسيء الظن بالاخرى وكل هذا راجع على ما أعتقد الى عدم مراجعة كتب الفرقة المنسوب اليها تلك المقالة التي تبرأ منها والاعتماد على كتب مناظريها فاني رأيت كثيرا ماينسب علماء السنة الى الشيعة مايتبرأون منه ومالم يوجد في كتبهم المعتبرة وكذلك يفعل علماء الشيعة وخذ لذلك مثالا ماينسبه أغلب المسلمين الى الوهابية من المقالات الشنيعة والاعتقادات الفاسدة ولو راجعنا كتبهم لانفيناهم يتبرأون منها ولم تكن علاقتهم بها الا كقول الشاعر

انما أنت من سليمى كواو　　ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ولا اظنكم اعتمدتم فيما كتبتم الا على كتب أمثال ذلك (العالم النبور) مع انكم لو امعنتم النظر واعملتم الفكر لالفيتم اولئك يخبطون في بعض الامور خبط عشواء لانهم لايستندون على المصادر الموثوقة بل يتكلمون على السماع وهو مالايجوز ان يتخذ حجة يتمسك بها كما فعل ذلك العالم النبور في رسالته التي بعث بها اليكم عن أحوال العراق ونشرتموها في الجزء الاول من المجلد الحادي عشر وكل مطلع على احوال العراق يقهقه ضاحكا من عدم التثبت في اسانيدها والاغرب من ذلك تذييلكم

لها وقولكم ان مجتهدي الشيعة يبيحون لامراء العرب التمتع بعدة نساء مما يصادف هوى في فؤادهم مع ان اولئك الاعراب يأنفون أشد الانفة من المتعة ولا يفعلونها قطعيا وهي مع حلها عند الشيعة لاترى عربيا يفعلها بل لاترى عربية تقبل بها الا في النادر وربما كانت شائعة عند الفرس لاغير وهذا ماحمل بعض علماء الشيعة من العارفين بأحوال العراق على الرد على ذلك العالم النيور في مجلتنا (العرفان) ولما كنت اعلم منكم الانصاف وأجلكم عن عدم التثبت ودعم ماتنقلونه بالدليل مع ان مبدأكم المطالبة بالبرهان جئت بكتابي هذا كي تنشروه على صفحات مجلتكم الحرة احقاقا للحق وإعلاء لمنار الصدق حتى اذا كان لكم دليل من كتب الشيعة على مدعاكم اقيتم به واني على يقين أنه لايوجد بتاتا وبقي امر آخر لا بد من استطلاع طلائعه واستجلاء حقيقته منكم وهو قولكم لايعتد باجماع الشيعة لان المسلمين اجمعوا قبلهم فلعمري هذا من الغرابة بمكان لان الشيعة أقدم من بقية المذاهب المستحدثة في الاسلام كما يعلم ذلك كل من له مسكة من علم التاريخ واطلاع على نشأة القوم واني انبهكم قبل ختام الكلام الى ان كتب الشيعة اصبحت منتشرة ومطبوعا اكثرها في بلاد فارس والهند والحصول عليها متيسر فيمكنكم استجلاب شيء منها حتى اذا نقلتم شيئا عنهم يكون على ثقة وتثبت والسلام ٣٠ رمضان سنة ١٣٢٧ منشيء العرفان

احمد عارف الزين

(المنار) أرسلت الي هذه الرسالة وأنا في سياحتي بالاستانة فأنا اعلق عليها بالايجاز وأنا جالس في احد المطاعم بعد الغداء وابدأ كلامي بالبراءة من التعصب للمذاهب ثم أقول :

أشكر للكاتب بيانه وأعده له يدا يمنها على المنار اذ لايحب ان ينشر فيه شيء من الخطإ ولا يعقب ببيان الصواب ولكني أنكر عليه ماذكره من الكلمات الجارحة التي اعتادها الذين ينكر بعضهم على بعض انتصارا لمذهب على مذهب والتشنيع لقوم وإهانة آخرين كقوله « محض وهم وافتراء » فان الافتراء تعمد الكذب ويبعد جدا ان يكون الذين عزوا هذا القول الى الشيعة قد تعمدوا الكذب في نسبته اليهم بل لا يعقل أن يقع هذا من عاقل اذ لافائدة فيه ولا هو من المسائل التي يرجح بها مذهب على

مذهب والخطأ في فهم آيات القرآن جائز على كل أحد وقد وقع من بعض الصحابة وهم أهل اللسان وشهداء البيان ومن دونهم من أئمة الفقه وعلماء المذاهب المنسوبون الى السنة كثيرا مايخطيء بعضهم بعضا ، فقلهم مثل ذلك القول عن الشيعة لاوجه لان يكون من الافتراء عليهم أو انتقاصهم لانهم شيعة بل لابد ان يكون له أصل وان لم يكن هو المعتمد في مذهب الإمامية أو الزيدية ، ونسبة الاقوال الشاذة في المذهب الى أهل المذهب معهود وغاية مايقال فيه ان نقل المخالف لايعتد به ٠ وأنت تقول إن القاسم بن ابراهيم أجاز العقد على تسع واليه ذهبت القاسمية من الزيدية، وهم من الشيعة في عرف أهل السنة ،ولا يبعد ان يكون أولئك الناقلون عن الشيعة ماذكر قد سمعوا منهم أو قرأوا عنهم قولا آخر من الاقوال الشاذة فظنوا انه هو المعتمد في المذهب ،ويكفي في بيان مثل هذا الخطأ ان يقال ان ماقيل عن الشيعة في مسألة كذا غير صحيح أو غير معتمد عندهم والمعتمد هو كذا ولاحاجة الى مثل هذا التطويل والتهويل والتذكير بالانصاف والدليل

وأما القول بأنه لايعتد بخلاف الشيعة في مسألة كذا لان المسلمين اجمعوا قبل ذلك عليها فلا ينقض بدعوى ان مذهب الشيعة اقدم من بقية المذاهب لان المراد باجماع المسلمين قبلهم هو اجماع الصحابة لا إجماع أهل المذاهب المستحدثة أو القديمة، وجميع المذاهب حادثة في الاسلام وقد كان الاسلام على أفضل ما كان عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الصحابة والتابعين ولم يكن فيه مذاهب ، ثم حدثت المذاهب ففرقت كلمة المسلمين وما زادت الاسلام الا ضعفا ووهنا ولانبحث في قدم بعضها على بعض الا من باب التاريخ اذ لاعلاقة لذلك بالحق والباطل والخطأ والصواب فكون مذهب المعتزلة سابقا لمذهب الاشعرية لا يقتضي كونه أصح منه وكون مذهب الجهمية متأخرا عن مذهب الخوارج لايستلزم ان يكون اقرب الى الصواب منه ٠ونحن نعترف بأن ذكرنا للمذاهب أحيانا في تفسير القرآن مخالف لمشربنا وهو انما يقع منا سهوا فالقرآن فوق المذاهب كلها ونحن لانلتزم في تفسيره مذهبا من المذاهب لان هذا من تفسيره بالرأي والهوى وهو منهي عنه

واما مانشرناه لذلك العالم السائح فهو من باب النقل والناقل عدل ثقة لاشك

عندنا في عدالته وقد يخطيء ويصدق بعض الروايات الباطلة فيقبلها بحسن النية ولو جاءنا رد عليه لنشرناه اذ لاحظ لنا غير اتباع الحق والسلام

* * *

﴿ الصدّيق وميراث النبي (ص) (*) ﴾

سيدي الدكتور مرجليوث

اليك ماوعدتك في جوابي عن تذكرتك من الملاحظة على بعض ماجاء في انتقادك لكتاب بلاغات النساء الذي شرحته وطبعته

(١) جاء في انتقادك ان الكتاب لم يذكره ياقوت في مؤلفات ابن ابي طاهر وانه قد يكون هو كتاب المستطرفات

وأفيدك :ان بلاغات النساء هو الجزء الحادي عشر من كتاب المنظوم والمنثور لابن ابي طاهر أسماه باسم خاص به هو اسم بلاغات النساء الخ، وقد اخترت نشره بهذا الاسم لانه خير عنوان لمشتملاته وادعى لالفات النظر اليه فان غرضي من نشره هو مساعدة الحركة العاملة عندنا لترقية المرأة وترى عقب المقدمة التي وضعتها للكتاب اشارة الى ذلك فلتراجع هذا وان كتاب المنظوم والمنثور ذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر (راجع معجم الادباء)

(٢) ثم جاء في الانتقاد :ان اخراج ابي بكر لفاطمة من ميراث ابيها كان يقينا بتحريض عائشة التي لم تسامح عليا قط فيا كان له من اليد في حديث الافك ! !

أقول :ان انباء الحوادث لاتثبت الامن طريق النقل وهذه كتب التاريخ كلها خلو من ذكر ماصحبته يقينا ولم يشر اليه في واحد منها لاتصريحا ولا تلميا فتفردك بقول في حادثة مضى عليها ١٣ قرنا موضع نظر !

ان الفكر لايلجأ الى الاستنتاج العقلي لمعرفة السبب في حادثة تاريخية الا اذا

(*) كتاب لاحد افندي الالوسي بعث به الى الدكتور مرجليوث المدرس بجامعة اكسفورد ردّا على ماتعرض له بتقريظه كتاب بلاغات النساء من اتهام الصديق (رض) بحرمان فاطمة عليها السلام من ميراث ابيها (ص) اجابة لتحريض عائشة (رض) وقد سبق ان نشرت مقالة في انتقاده في التصحيح من الاقامة في هذا الموضوع راجع (ص٢٢٧ — ٢٢٤) من هذا المجلد

خلت روايتها من ذكره على وجه صريح معقول وليس ذلك في حادثتنا فان أبا بكر لم يخرج فاطمة من الميراث الا أخذا بقول ابيها صاحب الشريعة الاسلامية: «لانورث ماتركناه فهو صدقة» وقد اقتنعت فاطمة وآلها واشراف الامة حينئذ بصحة هذا القول وأقروا العمل به وقبلوه

ان مثلك لايند عنه معرفة قوة سلطة الدين على متحليه في ابان نشأته كما كان ذلك في عهد تلك الحادثة حينئذ والعرب على فطرتهم البدوية وسذاجتهم الطبيعية فلا يمكن أن يلتئم مع ذلك ان يجنح أبو بكر الى هضم انسان حقه بتحريض محرض وأن يقره على ذلك الباطل اعيان الامة وان يخفى كل ذلك على رواة التاريخ فيغفلوه

ان العيان يكذب ان الموجدة الشخصية تكون سببا في ان يمنع الانسان غيره من حقه فان كثيرا من المتعاملين يجني بعضهم على بعض ومع ذلك قل أن يكون ذلك سببا للجسارة على ان يهضم انسان حق آخر خصوصا اذا كان صريحا كما في مسألة الميراث في مثل تلك الظروف

ان عليا لم تكن له يد في حديث الافك وانما صدر عنه رأي في تخفيف وقعه على محمد واليك مانسبته عائشة نفسها الى علي في هذا الشأن وقد نقلته عن كتاب البخاري اصح كتب الرواة الاسلاميين بالاجماع قالت :

« ثم اصبحت فدعا رسول الله علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد يستشيرهما في فراقي فأما علي فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعاها رسول الله فقال لها دايا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ » قالت بريرة لا والذي بعثك بالحق مارأيت منها أمرا اغمصه عليها قط »

وقد طوي حديث الافك بأسبابه ونتائجه لما تحققت براءة عائشة حتى أن أبا بكر أعاد صدقته على « مسطح » أحد القائلين فيه وكان قطعها عنه أثناءه

إن عائشة لم يكن لها في حياة أبي بكر وعمر الى أواخر زمن عثمان دخل في شئون الامة العامة وبعيد أن يحصل منها تحريض في مسألة الميراث يخفى خبره على رواة الاخبار حتى لا يذكره منهم ذاكر — ويجوز باطله على اعيان الامة في ذلك الحين حتى لا يجهر بالحق منهم جاهر

ان الميراث لم يكن راجعاً الى علي حتى تندفع عائشة بدافع موجدتها منه فتحرض أباها عليه فيه بل الميراث ميراث فاطمة والعباس عم النبي وأزواج الرسول ومنهن عائشة

جاء في تاريخ الطبري رواية عن عائشة نفسها :

« ان فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر أما اني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، انما يأكل آل محمد من هذا المال واني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته »

لولم تقتنع فاطمة والعباس بحجة أبي بكر أو لو أحسا بأن الدافع اليه حقد بعض جوانحه عليه لابت لهما انفتهما العربية وهما هما صفوة بني هاشم ، وعزتهما الاسلامية وهما هما آل الرسول وبجانبهما علي وشيعته ـ ان يستخذيا للباطل ولأثارا على أبي بكر غارة شعواء لا قبل له بها

قد كان علي ينفس على ابي بكر منصب الخلافة ولكن منعه دينه أن يتعرض للخليفة سالك مسلك الحق ولو وجد علي في عمل أبي بكر منفذاً يدخل عليه منه لما وَنى وقد أراده ابو سفيان رأس بني امية (راجع الطبري) على مناوأة أبي بكر فاستعصم علي لعدم المسوغ وأي مسوغ كان أدعى من أن يجير ابو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله والعباس عم رسول الله ميراثهما بتحريض عائشة ؟

ان ابا بكر في حسن سياسته وقوة ايمانه اجل قدراً وارجح رأياً من أن يندفع بالباطل لمنع آل الرسول حقهم الصريح وسيرته ترفع بقارئها عن أن يظن به ذلك خصوصاً ان ابا بكر لما ولي الخلافة تخلف عن بيعته من تخلف وارتد عن الاسلام من ارتد فكان إزاء نارين فارتأى بحكمته مداراة المتخلفين حتى سكتوا عنه وراجعوه وعزم بحزمه حرب المرتدين حتى انصاعوا اليه فكيف مع هذه الظروف يجسر على منع رؤوس بني هاشم وآل الرسول حقهم بالباطل ؟ وبعيد جداً أن يقبلوا على حقهم الصريح بغالب الباطل والغرض مع قدرتهم على المقاومة لو أرادوا ؟ وبعيد جداً أن يقر العرب اجمع ابا بكر على باطل ارتكبه بدافع التحريض وهم الذين انكروا

على عثمان توليته بعض مناصب الدولة لاحداث قومه حتى قتلوه

لو أن حادثة الميراث غير معلومة السبب وكان لابد من تلمس العلة فيها لكان خير رأي يتفق مع طبيعة ذلك العصر وظروف هؤلاء الناس أن يقال : ان ابابكر اراد بتقرير ان النبي لا يورث توهين اعتماد علي في احقيته بالخلافة على قرابته من النبي لانه اذا كان النبي لا ترثه قرابته في عقار وهو ملك خصوصي فبالحري او بالاولى أن لا تتخذ قرابته وُصلةً للاحقية في امر عمومي

(٣) اما اسناد خطبة فاطمة فان ملاحظتك عليه صحيحة والصواب ان (زيد) الذي سأله ابن ابي طاهر ليس هو زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢ بل هو زيد حفيده كان معاصرا لابن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) . وقد روى ابن ابي طاهر عنه غير هذه الخطبة كما ورد في صفحة ١٦٢ من الكتاب ذاته اذ قال :حدثني زيد بن علي بن حسين بن زيد العلوي فزيد العلوي هذا هو المتوفى سنة ١٢٢ وهو من اجداد زيد المعاصر لابن أبي طاهر

وعليه فيكون قد سقط من اسناد خطبة فاطمة ثلاثة رجال خطأً من الناسخ للنسخة الخطية التي طبعت عنها هذا الكتاب

هذه ملاحظاتي اقدمها مع الثناء الجميل لك واعجابي الزائد بفضلك وأود أن تنشرها في المجلة التي نشرت فيها تقريظ الكتاب حتى يطلع عليها قارئو التقريظ فلا يفوتهم ما جاء فيها من التصحيحات والملاحظات وارجو أن ترسل لي نسخة من العدد الذي تنشر فيه وعلى كل حال احب أن تتفضل بافادتي عن رأيك فيها فان الحقيقة بنت البحث وهي ضالتنا المنشودة جميعا .

* * *

﴿ حركة الاصلاح في جاوة ﴾

سيدي الامام ، الداعي الى سبيل السلام ، بعد التحية والسلام ، قد وصلنا العدد التاسع من المنار المنير وكله فوائد تهش لها افئدة المؤمنين ، وحجة قاطعة لالسنة الجامدين ، وقد انتعش بها قوم احبوا الهدى ، وغص بها آخرون اخلدوا الى زينة

الحياة الدنيا ، ولقد احسنتم كل الاحسان فيما انتقدتم به رسالتي الفاضل السيد عثمان ونحن نوافقكم عليه حرفيا وانه لكما ذكرتم حري بأن تحسنوا به الظن لانه قد بلغ من الكبر عتيا وله خدم مشهورة ومآثر حسنة وان كانت له هفوات معدودة

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

واني اكاد اجزم أنه سيرجع الى الصواب ويضيف بذلك لنفسه منقبة ان شاء الله ان لم يكن ادركه الخرف لانه في العقد التاسع من العمر ، نسأل الله أن يوفقنا واياه واياكم لرضاه آمين

وكيف لا ارجو له الرجوع الى هدي الكتاب ونبذ تقديم آراء الرجال عليه وجده الادنى السيد عقيل بن عمر كان من المجتهدين الذين لا يحتقبون الناس دينهم فلقد عطل ابن سعود دروس المقلدين من الحرم الشريف لما استولى على مكة المكرمة ولكنه لم يتعرض حلقة السيد عقيل المذكور بل كان علماء نجد يجتمعون فيها كما أنه منع جميع المفتين بمكة عن الافتاء ولكنه لم يمنع السيد عقيل لانه كان يفتي بما يظهر له من محكم الكتاب وصحيح السنة وهاهي فتاوى السيد عقيل وكتبه موجودة وهو شيخ مشايخ العلويين في علوم الشريعة والطريقة وطريقتهم الاخذ بالكتاب والسنة ومن احق الناس بسلوك طريق السيد عقيل حفيده السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل

وقد ظهرت بشائر نفع دعوة المنار ودعاته ومن يدعو الى ما يدعو اليه بهذه الجهات فصار الناس يتأففون من حالتهم الحاضرة ويئنون مما اصابهم من الجهل وابتدأوا في تأليف جمعيات وجمع نقود لفتح مدارس اسلامية تعلم الناشئة اللغة العربية والعلوم الدينية وطرفا مما ينفعهم في امورهم الدنيوية وبالفعل قد فتحت مدرسة في بتاوي وأخرى في فاليباغ وثالثة في سورابايا ورابعة في قرمي استاذها الشاب الغيور الفاضل السيد محمد بن هاشم بن طاهر سبط الفاضل السيد عثمان ، وقد جعلوا لتلك المدارس نظاما وترتيبا نؤمل مع الزمن أن يكون مرقاة الى بلوغ الكمال ، وقد امتحن منذ شهرين تلاميذ مدرسة قرمي للسنة الاولى فنجحوا نجاحا يكاد يعد من المعجزات بفضل اجتهاد وذكاء استاذها وجميل صبره ، فلا أعد مبالغا ان قلت انها [illegible] مدرسة في

هذه الجهات وان ستين في المئة من تلاميذها أعلم من آبائهم ولما يمض عليهم بها ١٨ شهرا وان الهمة مبذولة من رجال النهضة في هذه البلدان في طلب مدرسين من الخارج ليستفيدوا من تجاربهم ومعرفتهم بالنظام والترتيب

ثم قد صنف حضرة السيد عثمان رسالة سماها جمع النفائس ونشرها وصدر لكم منها مع هذا نسخة لاعذر لكم عن تصفحها وهي اقل من ١٢ صفحة واراها (وربما اكون مخطئا) ستعرقل هذه النهضة الشريفة ان لم تقض عليها في بعض البلدان لما لصاحبها من الصيت والجاه واني لا أشك في حسن نيته ولكني اقول انه اراد أن ينفع فضر فعسى أن تلاحظوا ما كتبه وتنشروا رأيكم فيه لتشدوا من همة الدعاة وتكسروا شِرة الجامدين وتقووا هذه النهضة قبل أن يجهز عليها اصحاب العمائم وهي في سن الطفولية ادامكم الله نفعا للعباد، وشجى في حلوق اهل الفساد .

آمين آمين لا أرضى بواحدة   حتى أضيف اليها الف آمينا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته   س . م . م بتاوي (جاوة)

المنار : نثني على القائمين بنشر التعليم الطيب النافع، ونحثهم على المضي في عملهم بدون مبالاة بأرباب النزغات والاهواء ، وسنذكر رأينا في رسالة «جمع النفائس» في الجزء الثاني عشر إن شاء الله تعالى

* * *

مدافعة صاحب جريدة (وطن) عن نفسه

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين

أما بعد السلام والاحترام : أثني عليكم ثناء جميلا لحسن ظنكم بهذا العاجز ، ومعاناة الرد على شبهاتي العديدة بالحسنى ، ودفع التهم الموجهة اليّ من جرائد الاستانة الآخذة بالظن والغير المبالية بالحقائق وأشكر فضلكم

ان اقوال جريدة « بني غزته » وغيرها في اتهامي بالطمع باحراز المال والجاه وتوقع الانعامات الحميدية ـ لا أجد حاجة لتفنيدها ، وكل من يرجع الى وجدانه

الصحيح يرى بطلانها عيانا لان الدولة التي أجدها محتاجة لاعانة المسلمين وكنت اجتهد جهد طاقتي في جمع الاعانات المالية لها حينا بعد آخر وآخذ من اهل البر من المسلمين من بضعة اعشار القرش الى القرش فصاعدا وأحفظها عندي ومتى اجتمع مبلغ من المال ارسله الى الاستانة ، - لا يعقل انسان اني كنت أؤمل من مثل تلك الدولة منفعة مالية لان ذلك الامل يجب أن يكون من الغني لا من المعوز ! وعدا ذلك فاني لو كنت أنوي الفوز بالوسامات والانواط من الدولة العلية وكاتبت بهذا الامر رجال المابين لما كنت أجد جسارة في ذم القابضين على زمام الاقتدار فيه ورجاله المشهورين مثل عزت «افندي» العابد وغيرهم ومدح الحكومة الدستورية في تأليفي «تاريخ السكة الحجازية» ؟

والحاصل اني لم اكتب قط إلى المابين كتابا ، وأنى لمثلي أن يكاتبه ويجد منه أذنا صاغية ويتشرف بالرد الجميل منه ، اللهم اني كتبت مرة الى سعادة السيد مصطفى ذهني باشا ناظر النافعة الاسبق لكونه مشرفا على ادارة السكة الشريفة حوالي موعد الاحتفال بافتتاح السكة الكريمة الى مدينة النبي (ص) - بأسماء بضعة من اكابر الملة الاسلامية وأصحاب الجرائد لدعوتهم الى حضور الاحتفال وسيما ودعوة رجل أو رجلين من صحافيي الانكليز أيضا لذلك الغرض ولا أذكر الآن هل كان اسمي ايضا في تلك القائمة أم لا ، وكان ذلك الكتاب كمشورة نافعة لجمع الاعانات للسكة الحجازية من مسلمي الهند وغيرها من الاقطار الاسلامية لان الكبراء والصحافيين الذين يدعون الى الاحتفال ويشتركون فيه لاشك في أنهم يصيرون بعد العودة من الاحتفال ساعين في بني قومهم بترغيبهم وحثهم على اعانة ذلك المشروع الاسلامي العظيم وتستفيد الدولة بحصول حبهم الخالص ايضا ولا أظن انكم ترون في مشورتي هذه غير الاخلاص والحب الصادق لدولة اسلامية عظيمة ، وكثيرا ما كنت اقترح على سعادة الباشا الممدوح ما أراه مفيدا من اسباب توفير الاعانة والاصلاحات الضرورية لهذه السكة المباركة

وأما أمر الوسام والنيشانات فأكرر قولي في ذلك الباب كما قلت لكم قبلا بأني لم أؤمل قط حصولها بل لما أرسل اليَّ سعادة مصطفى ذهني باشا النيشان العثماني من

الطبقة الرابعة كتبت الى سعادته « لو كنتم أخذتم رأيي في ذلك الباب قبل ارسال النيشان فلم أكن لاقبله ، وأما الآن وقد أرسلتموه الي فأرى رده من سوء الادب »

وأرجو من كرمكم نشر كتابي هذا في « المنار » الاغر والفات رصيفاتنا الجرائد التركية وبالاخص جريدة « ينى غزته » إلى نشر كتابي الذي وجد في المابين والذي بنت هذه الجريدة قولها عليه بنصه مع الترجمة باللغة التركية لينصف العالم هل أنها صادقة أم لا ، والا فالواجب الصحافي والاسلامي يحتم عليها نفي قولها الغير الصادق باتهامي بما لست فاعله أبدا

والرجاء من غيرتهن الاسلامية قبول دعوتي هذه ليثبتن طهارة ذمتهن بتبرئة البرىء من التهم الباطلة الموجهة اليه والا فلا أكون مخطئا في ظني بحزب تركيا الفتاة انه بعيد عن الانصاف والحق كل البعد ولذلك ارسل نسخة من كتابي هذا الى رصيفتي المؤيد ايضا وارجو منها نشره

هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم ودمتم سالمين　　كاتبه المخلص

محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية

لاهور ـ بنجاب (الهند)

باب الأخبار والآراء

افتتاح مجلس المبعوثان

كان يوم غرة ذى القعدة الحرام يوما مشهودا في الاستانة العلية ، تطالت اليه اعناق العثمانيين ، وحدّجت ابصار الشاهدين منهم له والنائين ، اذ هو يوم من ايامهم المشهودة ، وعيد من اعيادهم المعدودة ، ألا وهو افتتاح مجلس الامة الذي استردت به الامة حياتها ، وحفظت كيانها ، واصبح امرها بيدها

ولإن كان يوم اعلان الدستور هو العيد العام لجميع العثمانيين، والحد الفارق بين عصر ترقب العدل ، وزمن سلطة الجائرين ـ فجدير بهذا اليوم أن يكون عيدا مثله عظيما ، اذ به تتحقق مباشرة الامة القبض على أزمة الحكم عملا ، وذلك بسن القوانين العادلة ، والتصديق على انفاذ المشروعات النافعة

قد كان همُّ المبعوثان في العام الماضي محصورا في تقرير طرق المحافظة على الدستور ، والسعي في حمل الحكومة على التنازل عن واسع سلطتها ، لتكون في يد المجلس ، و بيناهم يكافحون ويناضلون ، ويتحاجون ويتحاورون ، اذ نجمت تلك الفتنة الهائلة ، والبلية النازلة ، التي كادت تلهب جذاها في جميع انحاء السلطنة ، فانقضت على الدستور بغية زعزعة اركانه ، ونقض بنيانه ، وصدت المجلس عن عمله ، وحالت دون تحقيق امله ، وكان من فضل الجيش وقائده العظيم محمود شوكت باشا اجتثاث تلك الفتنة من اصولها ، والقضاء على السلطة الجائرة ، فكانت بحمد الله صفقتنا رابحة ، وصفقة و بها عبد الحميد خاسرة

انقضى ذلك العام بخيره وشره ، وقطعت قبل مغيب شمسه ألسنة الفتنة ، وأخمدت نار المحنة ، وقد هل هلال هذا الشهر وهو اول العام الثاني للمجلس ـ ونوابنا الكرام جالسون على مقاعدهم ، مترقبون لطلعة سلطانهم وخليفتهم، ليفتتح مجلسهم ، ثم ينصرفون بعد ذلك الى ما تمحضوا له

هذا : ولم تكد تبتسم شمس نهار افتتاح المجلس الا وقد برزت العاصمة في لبوس من الزينة بروق الابصار و يسر البصائر ، وما كان خفقان الاعلام على الدور والقصور ، والحوانيت والفنادق ، إلا دون خفقان القلوب واهتزازات النفوس !

ثم اقبل الخليفة بموكبه الجليل والنهار في مستوى شبابه يحيط به امراء الاسرة المالكة كالنجوم حول القمر ، ولما بلغ القصر بصر بوزراء الدولة وقوادها واقفين أمام باب القصر لاستقباله اجلالا وتعظيما

بعد أن جلس الخليفة على كرسي السلطنة واخذ كل واحد مكانه ـ وكان المجلس حفيلا بالوزراء والقوادوالسفراء وحملة الاقلام ـ ناول مولانا السلطان خطابه للصدر الاعظم وأمره بقراءته فتلاه بصوت جهوري دوى له المجلس حتى وعاه كل سامع

عارف بالتركية ، وانه لخطاب حكيم ، واني أنشره على القراء مترجما ترجمةصحيحة وهاوثم الترجمة :

﴿ خطاب السلطان ﴾

أيها الاعيان والمبعوثان المحترمون

أحمد الله جل جلاله الذي جعل جلوسي على أريكة السلطنة العثمانية في دور الدستور السعيد ووفقني في السنة الاولى منه أن أحضر افتتاح الاجتماع الثاني للمجلس العمومي وأهنيء أعضاءه جميعا بقدومهم المأنوس .

ان الشرع الشريف يأمر بالحكومة المقيدة الشورية عقلا ونقلا ويعدها لنا كطريق نجاة وسلامة فاذا داومنا مسيرنا في هذه السبيل وصلنا إلى الاتحاد والقوة اللازمين لحياتنا الاجتماعية والسياسية

إن من اكبر أماني المحافظة على الدستور وتأييد مبادئه وتطبيق قواعده وسأشتغل بمنتهى مقدرتي مع رعيتي مستعينا بمعونة الله وروحانية النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق هذه الاماني الشريفة والوصول الى هذه الغاية المجيدة

ان امتناني كان عظيما جدا عند مارأيت الاخاء عاما شاملا بين عموم ابناء الوطن اثناء سياحتي في بروصه وأزميد وكنت سعيدا جدا باقترابي من افراد الامة الصادقة

ان الخدمة العسكرية التي تشمل اليوم جميع رعايانا بلا استثناء هي من نتائج ما يأمر به القانون الاساسي الذي يضمن لهم المساواة بالحقوق والواجبات وإنني أعد وضع هذه الخدمة العامة المعلية لقوة الدولة وعظمتها موضع التنفيذ من أهم الحوادث التي سينقلها تاريخ نهضتنا الوطنية لان من طبائع هذه الخدمة في الجيش تحكيم عرى التآخي الصحيح بين ابناء هذا الوطن

ان الرقي والانتظام اللذين اظهرهما أفراد جيوشنا اثناء المناورات البرية والبحرية التي جرت لاول مرة في هذا العام يحملان على ان تقدرهم حق قدرهم وان نصرف مساعينا لايصال هذه القوى الى درجة الكمال اذ عليها يتوقف الذب عن حوزة الوطن والمحافظة التامة على السلم العام

ان أحوالنا الداخلية ـ ولله الحمد ـ لاتوجب القلق وان الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع لمتصرفية الحديدة وفي متصرفية عسير من ولاية اليمن وفي قضائي بارزان ولوما من لاية الموصل وقوصوه اخذت تزول بالتدابير الرشيدة التي اتخذتها الحكومة المنفذة حتى ان القبائل الثائرة جنحت للطاعة والسكون والآمال معقودة على انها لا تتكرر فيما بعد ولا سيما متى تعممت المعارف وفهمت الاهالي عامة القواعد الدستورية فيجب علينا في الوقت نفسه أن نعمل باهتمام وسرعة في سبيل إنهاض المعارف وترقية الاحوال الزراعية والصناعية والتجارية في ممالكنا الواسعة وكل عمل من شأنه ان يعود على العموم بالراحة والرفاه وعلى البلاد بالثروة والعمران

الاوان اكبر آمالي حصول التوازن المالي الذي هو أس إساس الاصلاحات وستقدم ميزانية سنة ١٣٢٦ العمومية لمجلسكم فعليكم ان تدققوا فيها أصلاً وفرعا وإذا كان واضعوها لم يتمكنوا من الوصول بها الى هذا التوازن المنشود بالرغم عما أنفقوه من الحكمة والاقتصاد في وضع النفقات المعقولة اللازمة فانهم سيتوصلون بلا شك الى سد عجز الميزانية العمومية المقبلة متى استوفيت الزيادة التي ستجبى من الرسوم الجمركية ووضعت الاحتكارات المنوي وضعها وتحسنت طرق جباية الاموال الاميرية وعندئذ تزداد الثقة المالية بنا وقد أثبتت أعمالنا المالية الاخيرة لنا ذلك

لقد أقمتم الدستور باجتماعكم الاول على قواعد متينة لا تزعزع وأيدتم النظامات الكافلة للامن والراحة في البلاد وستنظرون في اجتماعكم الثاني لوائح القوانين والنظامات التي وضعتها الحكومة المنفذة مجددا فيما يتعلق بحياة المملكة الاجتماعية والاقتصادية وتأييد النظام والراحة بقوة القانون ، ومن هذه المشروعات التي تستحق الذكر نظام التجارة البرية والبحرية وحقوق الملكية ونظام قضاة المحاكم المتنقلين وادارة الولايات وقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول كافة ودية محضة وبما أننا نراها جميعها متحدة على السعي في سبيل المحافظة على السلم العام فلذلك ترى حكومتي من واجباتها أن تكون عنصرا شريفا ساعيا معها في سبيل تأييد السلم

اني مع بيان فائق امتناني من المساعي الوطنية التي صرفت من قبل هيئتيكما

في الاجتماع الاول أعلن لكما افتتاح جلساتكما اعتبارا من هذا اليوم باسطا أكف الدعاء اليه تعالى أن يوفقكما و يسهل اعمالكما إلى مافيه خير الدولة والامة انه سميع مجيب » اه

بعد ان أتم الصدر الاعظم قراءة الخطاب السلطاني هتف الحاضرون للسلطان، وصافحه السفراء، ثم غادر قصر النواب والقلوب هاوية الى طلعته الغراء، والابصار شاخصة الى موكبه ذي الجلال والرواء، والألسنة منطلقة بالهتاف له والدعاء، أدامه الله راقياً في مطارف الصحة والهناء

و بعد فأن أعمال المبعوثان في هذا العام ستتناول شؤونا جمة تتوقف على انفاذها على وجهها حياة الامة وعزة السلطنة، وهي النظر في القوانين المسنونة والنظامات الموضوعة لتأييد الحق وشمول الامن والعدل، ومن اعظم تلك الشؤون وآكدها مشروع تعميم العلوم والمعارف بين طبقات الشعب ومشروع التجارة وانشاء نظارة خاصة لها، والنظر في توسيع سلطة الولايات، وتهذيب قانون الجزاء (الجنايات) وغير ذلك من الاعمال التي تجعل اعمال المجلس في هذا العام ايجابية، وقد كانت في العام المنصرم سلبية

ولنا الرجاء بأن يقوم اعضاء المجلس بما انتدبوا له خير قيام، ولا سيما بعد أن تمرنوا على نسق السير في المجلس، وسمعوا كثيرا من الصيحات والانتقادات بحق و بغير حق والله المستعان　　　حسين وصفي رضا

* * *

﴿ خطاب رئيس المبعوثان ﴾

خطب احمد رضا بك رئيس المبعوثان اخوانه الاعضاء بعد انتخابه رئيسا خطبة حفيلة نورد منها هذه الكلمات الحكيمة :

ان أول واجب على النائب الشريف النفس بعد اجتماعنا تحت سقف قصر ذي شهرة بالتاريخ هو شكر جلالة مولانا السلطان الذي تفضل علينا بهذا القصر، ولي

الامل انكم تنيبوني عنكم في القيام بتأدية هذا الواجب ، ولاشك بأنكم تشتغلون بهدوء وسكون ونظام لتخدموا الامة الخدمة التي تنتظرها منكم ولكنكم لاتبلغون هذا القصد الا إذا حاذرتم تجاوز حدود الاعتدال الى التطرف

والواجب ان تكون الشرائع والقوانين والمطالب مماتتطلبه حالة البلاد وينطبق على تقاليد الامة واخلاقها حتى يسهل تنفيذها . فقبل ان نصوغ القوانين يجب ان نعد معدات التنفيذ التي تعم نفع تلك القوانين لكل عناصر الامة على حد المساواة

ولا بد للوزارة التي تتولى التنفيذ من المساعدة والعون داخلا وخارجا اكبر من مساعدة مجلس النواب لها بالاماني والتمني . والعون الاول هو بلا جدال مايكون من ناحية العاطفة الدينية قبل كل شيء ، ثم من آداب الامة ودرجة تعلمها . والنجاح والمدنية يشبهان مركبة تدفعها قوة ذكرى العهد الماضي فاذا لم يكن وراء هذه المركبة روح قوية تدفعها الى الامام وقوات ادبية ومادية تؤيد الدافع فإما أنها تقف واما انها تتقهقر

وبما ان اعمال المجلس ومجهوداته لم تأت حتى الآن بالنتيجة التامة فهم يظنون أن هذا المجلس لانفع له ! . وقد جسموا بعض الهفوات ومن عادة الشعب ان يعد الخير الذي لايدركه أو الاعمال التي لاتعود عليه بالنفع المادي والاعمال الحسنة بنفسها اذا هي مست مرافق الافراد ـ من الشر

وليس ذلك غريبا في فهم الشعوب للامور على هذا الوجه فان الاصلاحات التي تقلب كيان الامة اذا كانت فجائية قد تعود غالبا بالضرر على الافراد فالناموس الطبيعي يقضي بأن يكون الانقلاب تدريجيا وعلى مهل فليس من الواجب علينا وحدنا العمل فقط . بل من الواجب على كل عثماني ان يأخذ بيد اخيه العثماني للسعي وراء نجاح الوطن متحاشيا البحث أو التفتيش عن سيآت اخيه ليعيبه بها

واذا كان نقد الامور حقا ومنحة من الحرية فان من الفضيلة الشريفة للضمائر الحرة الطاهرة أن لا ترى الشيء من جهته السيئة وبأن لا تثق بكل فكر يقال دون تحقيق أقوال هذا معربا عن أملي بأن تكون الروح التي أشرت الى فضائلها هي الروح السائدة في هذا المجلس
